صاحبها ورئيس تحريرها
مدحت عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة
مجلة ثقافية أدبية شهرية
دمشق - ص . ب (٢٥٧٠) هاتف ٣٦٢٩١

السنة السادسة
العدد الحادي عشر
تموز ١٩٦٥

الفنان والقديس [1]

بقلم : إتيين جلسون
عضو المجمع الفرنسي
ترجمة الدكتور عادل العوا

لايبدو أن ممارسة الفن قد قادت في اغلب الاحيان . ونحن انما نلقى في الآداب قديسين اكثر مانلقى ، ولكن القديسة (تيريزا) Thérése والقديس (جان دولا كروا) Jean de la Croix والقديس (فرانسوادي سال) Francois de sales ؛ كل اولاء لم يبحثوا عن القداسة في ممارسة فن الكتابة ، ولا تخلو على جرأة محاولة اتخاذ القديس الاخير راعي الصحافيين . ولئن لزم ان نقدم اليه اليوم نسخة من جرائدنا اليومية المتسمة باعظم وقار ، لما وجد حتما من اليسير أن يوفق بين مقتضيات حياة التقوى وبين اللهو المهني في قاعة التحرير . ان القديسة (سيسيل) cécile ترعى الموسيقى ، ولكنها اشهر بقداستها منها بآثارها وأما الرسم ، فالى جانب (لوقا) الرسول St. Luc المشهور كمؤلف انجيلي أكثر منه رساماً ، نكاد لانجد أفضل من (فرا انجيليكو) Fra Angelico ، وهو لامراء عبقري فذ هذه المرة ، وان تقواه لتعمر رسومه ، ولكنه بلغ في الرسم شأواً جعل الكنيسة تتردد ، وان اشتهرت بالغبطة ، تتردد في جعله قديساً ؛ وعلى الرغم من ذلك ، فان عدد المعجزات يعدل عدد الآثار ! وينجم عن صحة ذلك اننا نكاد لانتوقع ان نلقي القداسة على دروب الفن .

بيد ان من العسير ان نحيا مع فنانين ، سواء في الحاضر أم في الغابر ، بدون أن نفطن الى العدد الجم منهم الذين خامرتهم مسائل دينية والذين حرصوا على بلوغ رتبة روحية تجاوزهم وان كانوا يشعرون بندائها شعوراً غامضاً .

لنتجنب الكلام على موسيقار مثل (فرانزليست) لان من الجلي أن حياته على الرغم من شدة احتوائها على نساء واهواء ، كانت حياة راهب خاسر . وقد عرف ذلك بنفسه دائماً وجاء الطيلسان الذي انتهى بلبسه على نحو متقطع اشارة حسية لظروفه . ولولا امه ومرشده وهو الاب (باردان) Bardin لتم انتماؤه الى المدرسة الدينية سنة ١٨٣٠ . وليس بجائز أن نلوم الاب (باردان) على حذره لان (ليست) نفسه يعترف بأن نعمة الله وحدها كانت تستطيع أن تجعله جديراً بمثل هذه الموهبة . « الشعر ، والموسيقى وبعض بذرة تمرد ولادي ، سيطرت كلها علي خلال زمن جد طويل

— البقية على الصفحة ٢٥ —

(١) من كتاب مدرسة الآلهات الذي صدر حديثاً وقد نقله الى العربية الدكتور عادل العوا .

الرحلة الى الشرق والاداب الاجنبية

بقلم : الدكتور ريمون طحان

لايلعب الشرق الادوراً ثانوياً في الاداب الاجنبية ، ولكن هذا الدور يثير اهتمامنا بصفتنا شرقيين اذ يحلو لنا معرفة الصورة التي تركها الغربيون عن هذا الجزء من العالم الذي نقطنه ونعيش فيه . نحب معرفة كيفية تحليل الغربيين لتقاليدنا وفهمهم طريقة عيشنا وسلوكنا في الحياة وتعليلهم افكارنا وسياستنا ومذاهبنا الفلسفية والدينية ووصفهم مشاهد طبيعتنا الفاتنة والخلابة .

استرعى انتباه الغرب شرقنا العزيز الذي اصبح مصدر وحي وقد التفت الادب الغربي الى أدبنا ينهل ويستقي منه فالغرب مدين لنا اذن باشياء كثيرة فاحصاء مقدار هذا الدين يعود للادب المقارن ان هذا النوع من الادب يتناول دراسة الصلات الروحية القائمة بين الامم والعلاقات التي تربط كتابا يتباينون في اللغة والحضارة وينتمون الى آداب مختلفة تفصلها حدود جغرافية وسياسية . يتخطى الادب المقارن طبعاً الحواجز اللغوية والسياسية ليراقب عن كثب تلك التيارات التي تخترق الحدود لتعم في بلدان متجاورة أو بعيدة عن بعضها البعض . ان دراسة عدد من التيارات الروحية والثقافية تدخل في نطاق علوم الفلسفات والمعتقدات ويصعب على الاديب دراسة هذه التيارات والتعمق في البحث فيها ولكنه قد يساق بحكم الظروف للنظر بمواضيع ذات علاقة بالفلسفات والاديان . يحق لنا التذرع بالنظرية التالية والقول ان الحد الذي يفصل التيارات الفلسفية والدينية عن التيارات الادبية الصرفة غير واضح المعالم وان هناك منطقة تتلاقى فيها على صعيد واحد جدلية الفكر وجودة الاسلوب ، منطقة يحتلها او يتنازع للسيطرة عليها الفلاسفة والمتأدبون في آن واحد . هناك عدد من الكتاب قد جمعوا الافكار القيمة وعبروا عنها بجودة فائقة تحاول الاستئثار بهم رجال الفلسفة والأدب .

سوف نصرف النظر عن الفلاسفة الدين اقتبسوا الى الكثير عن الشرق للنظر فقط في قضايا المصادر الشرقية التي عرفها الغرب وكيفية انتشار مواضيع متشابهة قد عمت العالم اجمع واثرت في عقليات الامم البعيدة حتى النائية والمنعزلة منها . نستطيع في دراساتنا هذه اما اللجوء لثقافة نظرية ومصنفات مكتوبة ومطبوعة اما الرحلة الى بلاد الامم الغربية عنا لمعاينة طرائق سلوكها في الحياة . غالباً ماتكون الكتب وسيلة لنقل العامل الحضاري وقلما حاول الادب الانفراد والانطواء على نفسه بل يحاول كل ادب استعارة واقتباس الاشياء الكثيرة من غيره فالأدب القومي يتمثل الاداب الغربية وقد قال الشاعر والمفكر الفرنسي بول فاليرى بهذا الخصوص : يجب التماس الغذاء من الآخرين فالاسد حصيلة الخرفان التي قد افترسها وتمثلها . فالخرفان هنا تعني الكتب والمصادر الاجنبية . ان دراسة المصادر تنسينا احيانا ان الاقتباسات حتى الظاهرة لاتنقص الادباء حقهم في الخلق والابداع .

يجب اعتبار الكتب والمصادر الاجنبية كوسيلة لنقل الافكار من امة الى اخرى ولدينا وسيلة ثانية يجب ان نفيها حقها في التبادر الحضاوي الا وهي الرحلة الى الخارج . تحول الرحلة مجرى حياه الكاتب الذي لايقفل راجعاً الى مواطنه كما كان عليه حين غادرها اذ يجني الرحالة فوائد جمة من جراء

اكتشافاته ثقافات وحضارات تختلف عن الثقافات والحضارات التى الفها .

لن تتناول احاديثنا بحث الرحلات الخيالية التي استخدمها عدد من الكتاب كوسيلة لنقد اقوامهم او الاقوام التي حلوا ضيوفا عليها .

فجر بعضهم سكان آسيا وافريقيا وامريكا وعرضوا امامها مناقضات الحضارة العربية وقام آخرون ودفعوا سكان الغرب للقيام برحلة الى الشرق وطلبوا منهم الحكم على الحضارات الشرقيه ، تبدوا لرحلة الخيالية كمعين لا ينضب من التموجات والزخارف السطحية التى تفضي على المؤلفات مسحة غريبة فلن يدور حديثنا على هذا النوع من الرحلات بل سنتكلم فقط عن الرحلات الفعلية التي قام بها ائمة كتاب الغرب الذين قصدوا ربوع شرقنا ومكثوا فيه قبل وصفه .

ان القيام بالرحلات فن خاص او بالاحرى مهنة لا تكتسب الا بالخبرة والفراق فالرحلة لا تعود بالخير والعمم الا على هؤلاء الذين جمعوا بعض المعلومات عن البلاد التي يودون زيارتها والذين تمرسوا على فهم ما يجول في خاطر الغرباء والذين اوتوا حظاً وافراً من حب المشاهدة والاطلاع اضف على ذلك ان الرحالة الذي كان يرزح في موطنه تحت عبء العادات والتقاليد الموروثة ينفض عنه غبار التقاليد حين يقيم في بلد اجنبي ويسعى للتلاؤم مع واقعه الجديد فالرحالة الغربي يجرب اقطار وامصار الشرق يستطيع اما التزام حدود الواقعية ووصف الشرق بصورة صحيحة وواضحة مسجلا بشكل آلي مرئياته والحوادث التى قد يلاقيها اما التمسك بعقليته الفردية والحكم علينا بشكل جائر . فالرحالون الواقعيون والرحالون الجائرون في احكامهم علينا قد تركوا اوصافاً لرحلاتهم تهافت عليه الجمهور الغربي الذي انكب على مطالعة ماروى له عن البلاد النائية مرتاحا ومستسلماً الى الكتب والمؤلفات التي حدثته عن فتنة واغراء شرقنا .

اهتم الادب المقارن بروايات الرحالة وسير اسفارهم وخاصة بتلك الصورة او الصور المتفرقة التي تركوها عن الشعوب التي قاموا بزيارتها فتأويل هذه الصور امر صعب ان الرحالة طالما يرددون صدى ما سمعوه وما تناقلته الالسن . قد تنشأ هذه الصور تارة بشكل عرفي بينما تنشأ طوراً متأثرة بتقاليد عريقة فمعرفة الصور المختلفة التى اذاعها الكتاب والرحالة الغربيون عن الشرق وعن سكانه هي ضالتنا المنشودة وسوف نسعى لمعرفة الصورة التي تركها الرحالة لشعوب الغرب ومتابعة التغير الذي طرأ على هذه الصور منذ نشأتها حتى عصرنا هذا لما علينا ازالة تلك الغشاوة التي حجبت عن اعين الغربيين صورة الشرق الحقيقة ، ساعين لدعوة الغرب طرح جانبا الاراء المسبقة والاهواء المنحرفة التى تداعب افكاره عندما يتصور بلادنا . وعلينا اخيراً بيان واظهار التيارات الشرقية التي لعبت دوراً في الادب الغربي .

هنالك خطر يحدق بابحاث ادب الرحلات فيستطيع الناقد جمع بعض الشواهد وبعض النوادر التي يستقيها من أدب الرحلات ثم عرضها بشكل جذاب يستسيغه القارىء . لسنا من انصار هذه الطريقة السهلة بل نرى ان التعليق على وصف الرحلات والتحقق من صحة بيان مراحل ومنازل السفر والتحري عن المصادر المكتوبة التي استعان بها الرحالة والموازنة بين مختلف الشهادات التى ادلى بها الرحالون هي الطريقة الجديدة ونأمل ان تسبق التعليقات الرخيصة على الرحلات صدور الرحلات نفسها بشكل علمي ونقدي . ان السيد ملاكيس قد قام بعمل يشكر عليه لما اعاد طبع كتاب

شاتوبريان وصف المراحل فن باريس الى القدس (بلتيمرد ١٩٤٦) لقد قام المذكور بعمل تمهيدي يوفر كثيراً من الوقت على علماء الأدب المقارن الذين يستطيعون استقاء معلوماتهم من مصادرة الموثوق بها .

لم ينتظر اصحاب الادب المقارن صدور اوصاف الرحلات العلمية بل سعوا الى نشر تاريخ الرحلات التي كانت وجهتها بلاد الشرق . فكرس هنري بوردو مجلدين للذين جابوا اقطار الشرق ثم اقتفى الاستاذ جان ماري كرى لذا أثر الفرنسيين الذين ظافوا ارجاء مصر حتى تاريخ تدشين قناس السويس واخيراً تابعت السيدة مرغريت ليشتنبرجيه (Iachtenberger) البحث الذي هجره سلفها في مؤلفها الكتاب الفرنسيون في مصر من ١٨٧٠ حتى يومنا هذا .

بفضل مؤلفات الرحالة وكتب مؤرخي الرحلات حصل الجمهور الاجنبي على معلومات تعرف بواسطتها على الشرق .

يجب تعريف الشرق كما فهمه الغرب ثم اعطاء نبذة تاريخية خاطفة عن صووه الشرق المزيفة التى داعبت خيال الغرب قبل ان ننصرف لبحثنا الاساسي : كتاب العصر الحديث في رحلاتهم الى الشرق .

ان كلمة الشرق تعبير غامض يدعو للالتباس استعمله الجغرافيون بالتخصيص للدلالة على البلاد التي تحيط بضفة البحر الابيض المتوسط الشرقية وبالتعميم للدلالة على القارة الاسيوية ، لم يسمع المؤرخون في ايضاح هذا التعبير لابل ضمنوه معنى شرق طواه الزمن تاركا منه بعض الاطلال الدارسة . اقبل الكتاب واستعاروا هذا التعبير الغامض وقالوا ان الشرق يضم بقاعاً واسعة الارجاء تبزغ فيها الشموس الحارة وتزدهر فيها حضارات حية او بائدة تتسم بطابع يميزها عن الحضارات الغربيه واضافوا الى هذا الشرق المتناهي الاطراف والمعتبر كمهد حضارات عديدة بقاع شمال افريقيا التى تتحلى بطابع اسلامي .

اذا سئلوا عن الشرق قالوا ان شرقنا يضم بلاد الاندلس وشمال افريقيا والاستانة وبلاد اليونان ان شرقنا مزيج من كل هذه البلاد وخليط من كل هذه الحضارات . لانستطيع مجاراة الجغرافيين والمؤرخين والادباء وعلينا حصر الشرق في حدود معينة يقيدها الزمان والمكان ، بما يخص الزمن سوف نتكلم فقط عن رحالة القرن العشرين الذين تمتعوا بمشاهده ربوع شرقنا وبما يخص المكان لن نذكر الا الرحالة الغربيين الذين جابوا عدداً من اقطار الشرق الادنى اى سوريا ولبنان والعراق وفلسطين وتركيا وايران وشمال افريقيا ، مصر والمغرب الكبير ، حيث ازدهرت الحضارة العربية والاسلامية .

لم يهتم كتاب العصور الوسطى بشرقنا ولكنهم صرفوا جل اهتمامهم الى فلسطين مهد عيسى ومحط انظار حجاج الاراضي المقدسة .

توفرت الفرص وقتئذ وكانت بضائع وسلع الهند والصين تمر عبر الشرق الادنى قبل وصولها الى اوروبا وقد حدث شيء من التقارب ما بين الشرق والغرب في زمن هارون الرشيد الذي ارسل وفداً خاصاً يحمل هدايا مدهشة الى امبراطور الغرب ومليك الغرب شارلمان «

جاءت فرصة مواتية ثانية في فترة الحروب الصليبية التى دارت رحاها مابين الشرق والغرب ولكن مشاغل الصليبين الدينية الصرفة حالت دون تعرفهم على حقيقة شرقنا ولم تصف الحوليات الغربية الا الديار المقدسة ورأي ادب الحوليات نهايته المحتومة مع طرد الصليبين من فلسطين .

جاء كتاب ماركو بولوس الشهير نتيجة جهود واسفار دامت حوالي عشرين سنة قضاها مواطن البندقية في مغوليا وبلاد فارس والهند والسند والصين . الف ماركو بولوس كتابه في ١٢٩٨ م ولكن المعاصرين لم يفوا المؤلف حقه ووقفوا من كتابه وقفة الحائر المرتاب .

التفت الغرب في القرن الخامس عشر والسادس عشر ادب الاغريق والرومانى وقصدوا ايطاليا ليحجوا الى

روما وتحكمت ايطاليا آنذاك في الفنون الجميلة وفي التيارات الفكرية وفي الادب الصرف وطغي التيار القديم وجرف الشرق والقاه بعيدا .

بني التجار والرهبان والرحالة صرحا مجيدا للشرق في عصر لويس الرابع عشر . ان حركة الاستكشاف صالحة لاعطاء فكرة عن الشرق واول من قصد ربوع الشرق هم البرتغاليون والهولانديون الذين افادوا باقي الشعوب بوصف رحلاتهم . ازدات عدد الرحلات التجارية مما ضاعف اوصاف الاقطار والامصار النائية .

بسط البرتغاليون نفوذهم التجاري على الهند ثم لحق بهم الهولنديون واخيراً برز الى الوجود الاستعمار الفرنسي والانكليزي الذي اندفع للذود عن مصالحه التجارية ونفوذه السياسي ، شب الخلاف بين الدولتين الكبيرتين واستحفل امره . حاول الفرنسيين مرة اولى تأليف شركة تجارية مع الهند في زمن هنري الرابع فلم يكتب لها النجاح ثم تبعتها شركة اخرى لاقت نفس المصير فشركة ثالثة في عهد ريشوليو كان ايضاً نصيبها الاخفاق ثم توقفت فرنسا في عهد كولبير وزير لويس الرابع عشر في انشاء عدد كبير من الشركات الكبرى للتجارة مع الشرق فخص بالذكر منها شركة التعاون مع الصين ١٦٦٠ والتعامل مع الهند الشرقية ١٦٧٠ والتعامل مع الشرق الادنى .

استاءت انكلترا من تغلغل النفوز الفرنسي وجندت قواها لضرب وتحطيم نفوذ فرانسا المتزايد والغت شركة التعامل مع الهند التي قامت بدور فعال في شل حركة فرانسا وفي اجتياح القسم الاوفر من قارة الهندستان . لاشك انه تبلورت في هذه الشركات المطامع الا تعمارية وبرز خاصه جشع انكلترا وفرانسا ولكن الادب استفاد من هذه الاوضاع واخذت معرفة الشرق تقترن بحركة انشاء المتاجر والمخازن الاجنبية فأخذت هذه ترسل مع السلع معلومات قيمة عن الشرق .

حان لنا ان نتساءل عن هوية الذين نشروا المعارف الشرقية في الغرب - قد تجلت تلك المعرفة في ادب الرحلات عامة بنوعيها ، بانواع الاول الذي ابتغى محررون ، جني فوائد مادية او روحية وبالنوع الثاني الذي اتى منوها عن تلك الاعراض .

نظم التجار رحلات متعددة وشحنوا البضائع من الهند وبلاد فارس الاناضول والصين الى اوربا فكانت هذة السلع تسير في الجمهور الغربي حب معرفة بلاد منشأ تلك البضائع الغريبة وسرعان ماانقاب التبادل التجاري الى حركة بسط نفوز استعماري تبلور في تأسيس الشركات التجارية الكبرى التى كانت تدعمها الدول علنا وسرا ولكن هذه نفسها خدمت القضايا الشرقية فأخذ التجار يستأجرون الصحف والمجلات ليعرفو المناطق التي يودون استثمارها ، حتى انهم قد انابوا عنهم امرة احد اعضاء المجلس العلمي الفرنسي السيد شاربونية وطلبوا منه ان يبرهن لمواطنية بالحجج القاطعة وباسلوب اكاديمي ضرورة الاسراع في تجهيز السفرة وشراء اسهم الشركات الاستثمارية .

لانستطيع التنكر بدور هذه الشركات التى سعت ايضا الاقامة العلاقات الدبلوماسية بين بعض بلدان الغرب وبعض دول الشرق كانت الجماهير الغربية في عواصم اوربا الكبرى تحتشد لمشاهدة موكب مرسلي ومبعوثي سلاطين الشرق . كان المبعوثون لايذخرون وسعاً للظهور بلباسهم القومي الفخم والعجيب وكان سيناريو الاستقبال لهاؤلاء المبعوثين يتسم بطابع شبة مسرحى .

تقابل البعثة الدبلوماسية الشرقية الملك اولا ثم تصبح فريسة جمهور متعطش لرؤية اوجه غريبة وازياء عجيبة فكانت علية القوم تقتحم مجالس البعثة الشرقية والصحف تشير الى تحركات مواكبها وتطلع الجمهور على تفاصيل تصرفات البعثات والمبعوثين . هكذا احدثت تلك البعثات تماسا حقيقاً بين اشخاص عريقين في شرقيتهم والجماهير الاصيلة في غربيتها .

لانستطيع اخيرا الغض من شأن البعثات الفنية والتبشيرية ، لقد عرف الغرب الشيء الكثير عن الشرق من وسائل المبشرين التي كان يحررها رهبان الارساليات البعيده

ليطلعوا الغرب عن مدا تغلغل النصرانية في الصين خاصة ، عني بنشر هذة الرسائل الاباء اليسوعيون الذين تغنوا بالرجل الصيني الخير وتركوا له صورة مبسطة: ان الصيني رجل قصير القامة يغطي رأسه بقبعة واسعة الاطراف وله عينان تشبه شقتهما اللوزة .

يتبين مما سبق ان الادب الشرقي دخل الغرب عن طريقين طريقة التجار الذي اخذت به انكلترا وقرينتها هولندا وطريق التبشير الذي اختصت بة الكتلة اللاتينية فكانت هذه الكتلة تنشر رسائل الرهبان في الفرنسية والايطالية والاسبانية حتى في اللاتينية ، عالج المبشرون والرهبان في رسائلهم امور الهداية وكانوا يحصون في آخر كل عام الثروات الروحيه التي يجرونها فقام احدهم مثلا براسيم ستمائة عماد في السنة ووزع اكثر من الف سر مسيحي وقدم المناولة الى اكثر من مئة مهتدي في الاسبوع - كان التاجر يحصي كسبه المادي والراهب ماجناه من الكنوز الروحية فاصطبغ ادب رحلات التجار والرهبان بالنفعية اما الآن فسوف نهتم بادب الرحلة المنزة عن الاغراض النفعية والمادية والروحيه يعد هذا النوع من الادب مصدراً اساسياً لنشر المعلومات عن الشرق .

وصف الرحات البلاد الشرقية بشكل مبهم والكنة اسهب في وصف سكان الشرق ، بدا الشرقي في ادبهم رجلا وسيم الطلعة يحب الدعابة ويتمتع بخيال واسع وزكاء مفرط قد تغنوا بفرط تادبه وكياسته وتعلقه بكرامته وقداطنبوا في امتداح انسانيته وقراه للضيف وتلطفه بكرامته وقيده للتسامح في الدين نسج خيالهم كسوات وهمية البسوها لكافة شعوب اسيا : ثوب فضفاض ذوارد ان واسعة مع عمامة ضخمة ومرتفعة تكسر الراس وقد تعلوها عفرة من الريش الملون . يهتم الرحالة بمعتقدات واديان شعوب آسيا واضفوا عليها صبغة اسلامية فبدا الاسيوي طاهر الفكر يتلاعب بة القدر ثم صرفوا اهتمامهم لوصف جنة الخلد التي بدت في ادبهم على شكل فردوس ارضي واسع الارجاء تنبع وتسيل فيه المياه العذبة ويعج بالحور اللواتي يفترشن السجاد العجمي وقد اسهبوا في التحدث عن خرافات سكان الشرق ووصفوا الحجب والتعاويذ والتمائم وكل الاشياء التي لها علاقة بالكهانة والعرافة والسحر وقد صرفوا جل اهتمامهم الى وصف العلاقات الجنسية والحب والغرام والهوى. عرف الرحالة في شرقهم الشبه خرافي مغامرات رخيصة . نسوة تركيات نظرن اليهم من خلال نوافد مجهزة بقضبان حديدية ومشرفة على ازقة ضيقة فولدن فيهم الاهواء الجامحة ، فالخوف من انتقام عاجل وصعوبة الاجتماع وغرابة المكان والخطر المحدق بالمغامر اخذت تثير الخيال ، اكد بعضهم ان تلك النسوة كن يغرون بالغريب ويدعونه للدخول . فالويل للغريب الساذج فالنسوة يشبعن غريزتهن منه ثم تنفتح كوة سرية لتبصق جثته الهامدة في مياه قرن الذهب فمصير الغريب العاشق يكون الهلاك المحتوم .

اضافوا على هذه الروايات الخيالية اشياء تتعلق بالزواج فادعوا انه يزوج هناك البنون والبنات في سن مبكرة في العاشرة والتاسعة حتى ذهب بعضهم الى القول في سن الخامسة من العمر . اغرقوا الشرق في بحر الملذات الجنسية ورووا الاساطير عن التسرى وتعدد الزوجات وسهولة الطلاق وطرقوا أبواب مخادع النساء وقصور زوجات السلاطين ليتفحصوا أمر الاخصياء الذين يقومون برعاية شئون النسوة الحبيبات وأمر العبيد الحالكي السواد الذين يقومون بمراقبة النسوة البيضاوات اللواتي يقضين عمرهن حسب رواياتهم في اشباع رغبات مضادة للطبيعة وفي الايقاع بازواجهن الاغبياء.

فلا غرابة ان يبدوا الشرق في أدب الرحالة كبقعة استسلم سكانها لكل أنواع الملذات الجنسية ولا غرابة ان تنتقل هذه الصورة من عصر الى آخر حتى انها وصلت الى عصرنا هذا ، ان هذا الشرق المتسم بسحة تركية واسطنبولية سوف تطرأ عليه بعض التعديلات فهذا ما سوف نعالجه في مقالنا القادم عندما سنتفحص أدب الرحلات في الادب الفرنسي عامة وفي انتاج بيير لوتي خاصة .

أرض الجحيم

قصة : ياسين الرفاعية

أحسست ساعة قفزت من الحفرة الاولى الى الحفرة التي تلتها انني تقدمت من الموت خطوة اخرى . كان ثمة آخرون يقفزون الى بعد اكثر من مائة متر عن يميني وشمالي . كنت ادرك انني منته لا محالة . كانت بي رغبة عنيفة بأن ارتد الى الوراء . لكنني كنت اعرف اي مصير ينتظرني فيما لو اقدمت .

سكنت في حفرتي . وشددت على البندقية خشية ان تفلت من يدي . كان فولاذها باردا . ومع انها ثقيلة ، لكنها ظلت ترتجف بين يدي . ضغطت على اسناني محاولاً السيطرة على اعصابي فان شعوراً بالفزع سيطر على كياني . انها ليست التجربة الاولى . . ومع ذلك فانني احس هذه المرة ان الخطر الذي ينتظرنا افدح من اي خطر آخر واجهناه منذ نزوحنا الى جحيم هذه الارض .

السماء فوق رأسي صافية الاديم ، والسكون الرهيب صبح الآن يلف كل شيء . وكأنني استمع الى لهاث زملائي القريبين مني . كانت التلة البعيدة التي تربض فوقها القرية التي ازمعنا الهجوم عليها تبدو كأنها حصن منيع وكانت انوارها الضئيلة المنبعثة من خلال النوافذ تدل على ان اهلها يغطون في نوم عميق .

والأوامر التي صدرت : يجب ان نقترب ونفر بسرعه فالعدو صعب المراس . ويجب ان نكون حذرين جداً . ان اقل خطيئة تنذر بجحيم هائل فوق رؤوسنا . ان رؤساءنا يعرفون قوة العدو وهم بذلك ينبهوننا في كل مرة ان نكون حذرين ، وان نهاجم تحت جنح الظلام ، ويبدو ان الظلام وحده هو الذي يستمر الخوف والفزع اللذين يسيطران على اعصابي واعصاب امثالي .

الاشارة ، تقليد عواء ذئب . ومن ثم التسلل حتى القرية . وتساءلت : مامعنى هذه الاعمال . . والام يستمرون في دفعنا الى معارك نكون دائماً فيها من الخاسرين .

وتذكرت يوم غرربي . فرضيت ترك طرابلس الى الارض التي اسموها لنا آنذاك : ارض الميعاد وانا اعد نفسي بحياة اجمل وافضل بين ابناء ديني وعشيرتي . كنا ستة وفتاة هي شقيقة احدنا ، كانت جميلة ومغرية وعندما اقتربنا من مياه فلسطين بعد رحلة خطرة ذقنا فيها الاهوال . كان الليل قد انتصف . وعندئذ ادركت ان الفرحة التي اصابتنا جعلت الفتاة شيئاً مباحاً لنا . وبررت يومها كل شيء . . مامعنى الحياة اذا لم نستغل كل فرصة تسنح لنا لنسعد بها . .

تذكرت كل هذا الآن . وكم احس بندم كبير على ما اقدمت عليه ، لقد ادركت زيف الحياة التي حملت نفسي اليها . وادركت اية خدعة كبيرة انطلت علي في حياتي . لقد جئنا نحن الشرقيين لنكون خدما لمن اتوا من الغرب ، وليدفعوا بنا في كل معركة الى خط النار الاول . انهم يقومون بحركة افناء واسعة بعد ان جلبونا بالوعود من كل

بلد عربي وشرقي كي يحل محله الذين يفدون من الغرب .

تواردت هذه الخواطر كلها على ذهني ، وانا مسند خدي الى كتفي ، وبندقيتي ملقاة امامي وفوهتها متجهة الى القمة . لم تمض دقائق اخرى حتى سمعت عواء الذئب يشق صفاء السكون . بدأت ازحف . . كنت المح رغم الظلام اشباح رفاقي وهم يزحفون الى جانبي ، وما ان اصبحنا بالقرب من التلة حتى نسيت كل شيء حوله واصبح همي محصورا لحماية نفسي . كنت هلعاً . وراح قلبي يدق بعنف بالغ . انها اللحظة الحرجة . فقد يحس العدو بنا . او انه قد شعر بنا فعلا وهو يترقبنا ولابد انه ينتظر الفرصة المناسبة ليبيدنا.

كانت التلة مزروعة بالاسلاك الشائكة ، ولكن الفرقة التي سبقت تقدمنا شقت لنا طريقاً ضيقة لنمر باجسادنا منها .

استمر زحفنا اكثر من ساعة ، حتى اقتربنا كثيراً من القرية الصغيرة التي لم تكن بيوتها فيما يبدو تتجاوز الثمانية . واحست بنا بادىء ذي بدء كلاب القرية فراحت تنبح باستمرار . وكانت اشارة مضيئـــة انطلقت فيما اعتقد من مسدس عندما هبت مدفعيتنا تصب جام غضبها على البيوت الثمانية كأنها تقصف مدينة كبيرة مثل بيروت .

استمر القصف اكثر من نصف ساعه . وفيما بعـــد قفزنا من مراكزنا صاعدين التلة بسرعـة الى القرية وما ان وصلنا اليها حتى بدت الآن قاعاً صفصفا . .

دخلنا الزقاق الوحيد فيها . كان هناك بيتان يشتعلان وبيتان آخران قد تهدمت بعض جوانبها واصطدمت قدمي بجثة ملقاة . ولما حاولت ان اجثو على ركبتي متحاشياً أن يراني احد من رفاقي استولى على كل ماتحمل الجثة من اموال و اشياء ثمينة كما تعودت ان افعل في كل معركة خضتها ال وكما تعود جميع رفاقي . فوجئت بأن الجثة لم تكن الا جثة بقرة صغيرة ، فاصبت بخيبة امل مريرة ، فقمت مسرعاً علني عثر على جثة ما بعيدة عن اعين رفاقي . . وبعد جهد لم اعثر الا على جثة كلب آخر كان منفوخاً كدولاب سيـــارة . وبالطبع لم تكن مدافعنا هي التي اصابته فهـــو يبدو ميتا منذ ايام .

وبعد ان قمنـــا بتفتيش القرية تماماً لم نجد اثراً لمخلوق وكأن اهلها على علم بما نضمره لهم . فاخلوها بعد أن تركوا انوارها مشتعلة حتى يزيدوا في خديعتنا .

وكانت خيبة الامل واضحة الملامح على وجه قائدنا الذي بدا مع اشراقة الفجر اصفر باهتاً فراح يسب ويلعن الساعة التى جاء فيها هذا البلد ويلعن اللحظة التي اعتقد فيهـا ان هذا الجحيم هو أرض الميعاد . .

والتفت الينا يوجه اوامره بنزق وعصبية غريبة حتى احسست ان اعماقه تتفجر غيظاً وكراهية .تمركزنا حول القرية . بينما انهمك قائدنا في الحديث بواسطه هاتف لاسلكي كانت لهجته تدل على الخيبة المريرة والاسف العميق .

وبعد ساعة ونصف الساعة تقريباً . لمحت مفرزة من المصفحات تتقدمها دبابتان تتجهان الى القمة . بينما راحت طائراتنا تحلق فوق رؤوسنا على علو شاهق . وفيما انا اتأمل التلة التي امتلأت بجندنا بـدأت طمأنينة نفسي تعود الي . وزال بعض خوفي ولكن اشارة استفهام كبيرة ارتسمت

في مخيلتي : لماذا لم نلق اية مقاومة من العدو ؟ هل تخلى عن القرية كي لايصطدم بنا ؟ ام انه يضمر لنا شيئاً ما . خطة معينة سينفذها ؟

وفجأة . تفتقت السماء عن جحيم لا يطاق . . قنابل . . قنابل في كل مكان . بالقرب منا . في اسفل التلة . في منتصفها . . ثم قنابل كانت تمر فوق رؤوسنا وهي تولول لتستقر في مستعمراتنا التي انطلقنا منها .

وفقدنا السيطرة على انفسنا . وقمت انا وقد استبد بي الفزع وانحدرت عبر التلة . خلف القرية العربية . كانت قدماي تصطدمان بجثث رفاقي التي تكومت ببشاعة وبدت السماء في وهج الشمس وهي تتفجر من الجثث كأنها تنبع من الارض . القيت بندقيتي جانباً كي استطيع السرعة اكثر ، كنت المح وانا انحدر الى الوادي عشرات من رفاقي وهم هلعون يتراكضون من كل مكان باتجاه مراكزنا الا ان النار قد حصرتنا واحكمت النطاق حولنا .

ولم اعد اعي شيئاً ؟ كنت اركض . اركض بكل ما اوتيت من قوة ، وصمت اذناي . كانت الانفجارات تتوالى في كل مكان راسمة دائرة كبيرة تبدأ من خلف مستعمراتنا حتى القرية العربية التي احتللناها . كانت الانفجارات تتوالى بعنف . . و . . كبوت اصرخ : يا الهي . . لقد اصبت لقد اصبت . . وتمددت على الارض الترابية الحارة وانا مستسلم بيأس الى مصيري المحتوم ، وحاولت ان اوقف نزيف الدماء من فخذي الذي تمزق بشظية قنبلة وانا اتأوه واصرخ فلا اجد احداً حولي كان كل ما هناك جثثاً مبعثرة دون حراك .

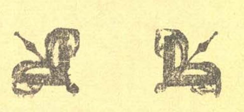
« سأموت اذن » .

واخترقت الكلمة احساسي . وتافت نحو مستعمراتنا التي بدت الآن شعلة من النار الملتهبة .

واستسلمت . .

ان خدرا شديداً بدأ يدب في احساسي بما يجري حولي ، واغمضت عيني وانا ابكي ، وقد اخترقني الخوف والفزع .

صحوت فيما بعد ضمن غرفة في معسكر من معسكراتنا وكنت اتمنى الموت . ولكن سوء حظي رسم لي ان اكون بقدم واحدة . وانني سأمضي في طريق الموت البطيء اشقه ونظرات ثاقبة تخترق جسدي من العيون الزرق ومن الدماء الملونة . نظرات احتقار لم تتبدل منذ وطئت قدماي ارض الميعاد . . جحيمنا الذي سنحرق به ذات يوم . . .



« شقـــراء »

شقراءُ !! لا أندى على كبـدٍ ، ولا أشهـى ، ولا يتخيّل الشعراء

أسكرتِ ناظرتيّ عابرةٌ ، ولا تصحو اذا عبرت بك الصهباءُ

وحديثنا . . بعض الحديث تنهّدٌ دامٍ . . وبعض حديثنا إيماءُ

أتروعكِ البيدُ العطاش ؟ وأضلعي وفمي ، وكل جوارحي صحراءُ !!

رُفّي ظلالاً في البحير ، ونفحةً تندى بعاطرتيهما البيداءُ

ظميءُ السنى ، عطش الغدير بها ، فلا تردي . . فيشربك السنى والماءُ

تتطلّعين الى اللهيب ، وكيف لا تَردُ اللهيبَ فراشةٌ حمقاء

وَتَرَيْنَ أن الدِفءَ دِفءَ جهنّمي - نعمى ، . . وكل جهنّمٍ حمراءُ

وزوابعي - لو تعلمين زوابعي سوداء ، راعفةُ اللظى ، هوجاءُ

نزل الربيع على وَسيمِ شبابهِ عندي ، فكلٌّ مطلّةٍ خضراء

قلبي - وفيه الكائنات - وظل في جنبيهِ دنياواته العذراءُ

زحم الجمالُ به الجمالَ ، فضجّ في زحماتهِ اللألاء ، واللألاءُ

ضاع الزمانُ به !! أتملأه على سَعَةِ المدى - وَتروضُه الشقراءُ

حامد حسن

ـ صدى حزين ـ

من شعر الاستاذ وصفي قرنفلي

نظرت وردّت طرفها ، ردّ الظلال لمن نروح
وهناك في الهدب الحزين المستغيث هوى جريح
وعلى الفم الوسنان ، اسرار تنم ولا تبوح . .
والنهد ، آه البرعم المسكين ، فحتى يصيح
وعلى الدم المشبوب قلب في مآتمه ينوح

★ ★ ★

ماذا بها ؟ والعمر نضر والمنى كالورد فيح
ماذا تريد ؟ هل المراد الحق والعيش الصحيح
لو اومأت للنجم طاح ، والزمان ، اذن يطيح
والخلد والقدر المهيمن ، ذلك الوجه الصبيح

★ ★ ★

طافوا بها : كل طريح في صبابته طليح
يتساءلون ويلغطون ، كأن نظرتهم فحيح
وسألتها فتنهدت : يارب اين المستريح
وتكسرت نظراتها في الأفق تحضنها السفوح
وانهلّ في صمت الجراح صدى حزين ، قل : جريح

الثقافة بين العلم والفن

للدكتور فوأد أيوب

ما اكثر ما يسود الاعتقاد بان هناك تناقضاً جذرياً بين العلم والفن بصورة عامة ، حتى لقد اعتاد الناس ان يقولوا ان ثمة مراجاً فنياً كما ان ثمة مزاجاً علمياً ، اولهما خلاق مبدع والآخر نقدي في طبيعته ، واذا كان الفنانون هم الذين وضعوا العلم بالصفة النقدية ، وذلك كي يظهروا هم انفسهم ؛ بالمقارنة ، خلاقين وحدسيين ، فالحقيقة ان لتلك النظرة اسبابها الاجتماعية في المحل الاول . ذلك ان تطور الطاقات الانسانية والحياة الاجتماعية قد حمل مجتمعنا الحديث على تطبيق تقسيم العمل وممارسته بحيث اصبح من الضرورة بمكان ، في سبيل سير الامور بصورة طبيعية ، وجود اعمال ووظائف متخصصة . واستطيع القول منذ الآن ان الوظيفة الفنية لا تختلف عن الوظيفة العملية الا من جراء مثل هذه الاعتبارات وحدها ، تماماً مثلما تختلف وظيفة الشعور عن وظيفة التفكير على الرغم من تكاملهما واستحالة انفصالهما . اما ان الجنس البشري منقسم الى مفكرين وشعوريين ، الى عقليين وحدسيين ، فذلك امر محال ؛ بل انه لمن المحال على الجنس البشري البقاء في حال قيام مثل هذا الانقسام .

ولقد كان العلم حتى وقت قريب شيئاً غريباً بالنسبة الى معظم الناس ، شيئاً قائماً بذاته ، يكاد ان يكون مستقلا عن الحياة ، تكتنفه الالغاز — وربما الاوهام — وتحوطه السرية ، كان شيئاً عصيا على الفهم العادي ، يمارسه اناس عجيبون ، تختلف طينتهم عن طينة سائر البشر ، اناس فقدوا كل معنى للحياة ، فهم يقطنون المخابر وينكبون فوق الزجاجات والحواقل ، وفوق اجهزة مختلفة لا يمكن ادراك كنهها ، قد اصفرت اصابعهم بفعل الحوامض المحرقة ، وعميت عيونهم من جراء الأبخرة ، وضاعت ابصارهم وعقولهم في خضم من الصيغ الكيميائيه والمعادلات الرياضية والرسوم العجيبة . هكذا كان العلم حتى وقت قريب ، او هكذا كان شأن معظم الناس مع العلم . بيد اننا اصبحنا اليوم ونحن نحيا في عالم طغت عليه مظاهر العلم وطوقته من كل جانب فقد اضحت الاشياء جميعاً على وجه التقريب ، من المركبة الفضائية التي امتطى الانسان متنها غازيا الكون الفسيح حتى انبوبة مضغوطات الاسبيرين التي نلجأ اليها كلما اصابنا صداع ، ومن هذه الصفحة المطبوعة التي اقرأ منها حتى الفكرة التي يكونها كل منا عن هذا الكون الذي نحن مجرد ذرة تافهة او عصيمة ، في خضمه ، اضحت الاشياء اذن عدة للعلم ، وقد يتطلب الامر منا بعض الجهد الفكري كي ندرك هذه الحقيقة ، لكننا ندركها على اية حال ، ولو بصورة غامضة في اكثر الاحيان . الا فلنفكر في الامر برهة واحدة ، أترانا نستطيع الاستغناء عن اي من هذه الاشياء العديدة التي تحيط بنا في منزلنا ، والتي تجعل حياتنا مثلما هي عليه ؟ جهاز التلفزيون الذي نشاهد برامجه ، او الراديو الذي نستمع اليه ؟ المصباح الكهربائي الذي يضيء غرفتنا ، او المدفأة التي تشيع الحرارة فيها ؟ الغاز الذي نطهي عليه طعامنا او حتى الملعقة التي نأكل بها ؟ فكم بالحرى اذا خرجنا من حدود منزلنا الى العالم الفسيح ، حيث كل شيء مدفوع بطابع العلم ! اننا ندرك اهمية العلم في حياتنا الحديثة ، ونفهم على مهلتنا انه لم يعد مجرد مجموعه من التقنيات الصناعية التي تطبقها تلك الجماعة الغريبة المشار اليها من سكان المخابر ، بل هو طريقة ، وهو قوة ، كما انه يملك معنى خاصاً واسلوباً خاصاً ، وان فيه فضلا عن ذلك لذة خاصة . اننا ندرك شيئاً فشيئاً ان ثمة مضمونا في ملء تلك الفوضى الظاهرية من الاشرطة والحواقل والاجهزة المختلفة ، والصيغ الكيمائية والمعادلات الرياضية ، بل اولى بنا ان نقول ان ثمة ثقافة جديدة

في ذلك كله ، حضارة جديدة كل الجدة . ان العلم قد صنع في الحقيقة شيئاً عظيما ، صنع تبدلا خطيراً .. لقد غير وجه العالم .

لكنه اذا كان العلم قد صنع ثقافة جديدة وحضارة جديدة ، فهذا لا يعني في حال من الاحوال ان بينه وبين الثقافة التي عشناها انفصالا او تناقضاً . ان البعض يتوهمون ان العلم قد خنق الثقافة ، انه قتل الفنون حين افسدها وحولها الى هذه الاشكال « الحديثة » التي يجدونها مقرفة عديمة الذوق . وانهم يتأوهون على تلك العصور الذهبية حين ازدهرت الفنون ايما ازدهار ، لان الاهمال كان اذن من نصيب العلوم . بيد اننا اذا تعمقنا في الموضوع تبينا ان هذه الموضوعة مناقضة للتاريخ كليا . وبالفعل ، متى كان هذا العصر الذهبي للفنون ، الذي لم تلوثه انفاس العلم القاسية . في الشرق ؟ لكن حضارات مصر والهند والعرب تكذبه صراحة . ان المصريين القدماء خلفوا بالفعل آثاراً رائعة ، تكن هذه الآثار مجبولة بالعلم بصورة صميمية . لقد قسموا السنة الى ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً حين عدوا الايام الفاصلة بين مناسبتين متتاليتين يشاهد فيها الكوكب سيريوس عند صهوره قبل شروق الشمس مباشرة . ولقد طوروا علم القياس ، والمسافة ، والاتجاه ، فاذا الاهرامات جميعاً امثلة مدهشة عن الرياضيات العملية فيما يتعلق بهيئتها وبنائها . ان الاهرام الكبير بني بحيث تسقط عليه اشعة سيريوس بزوايا قائمة ، كما ان احدى طاقاته موجهة بحيث تتسلل منها اشعة هذا الكوكب : بالضبط حين يجتاز خط الزوال فتنفذ الى الحجرة الملكية في قلب الاهرام كي تضيء بصورة عجائبية محيا فرعون الميت . ايكون الاهرام الكبير أثراً فنياً ام اثراً علمياً ؟

ان القدماء لم يعرفوا حداً فاصلاً بين العلم والفن ، بل ما اكثر ما كان الشخص الواحد يجمع الطرفين معاً في ذاته وان لنا مثالاً على ذلك في عمر الخيام ، هذا الشاعر العظيم الذي ترك لنا « الرباعيات » ، والذي كان في الوقت نفسه فلكيا كبيراً ، ورياضياً ضالعاً ، وكان له باع طويل في تطوير هذين العملين في ايامه . ان العلم لم يمنعه من ان يكون فناناً ، كما ان الفن لم يمنعه من ان يكون عالماً ،

ولننتقل الى الغرب الآن . ان الحضارة الغربية تبدأ في اليونان القديمة ، وعند الاغريق كان الفن والعلم متداخلين اكثر منهما في اي عصر آخر . لقد نشر فيثاغوروس تعاليمه قبل ان يخلق ايزخيليوس المأساة الاغريقية ، وكان سقراط يعلم حين كانت هذه المأساة في اوجها ، وسقراط نفسه ، أتراه يحسب على العلماء ام الفنانين ؟ اما افلاطون ، الذي طرب الشعراء من جمهوريته المثالية ، فقد كان تلميذاً بعد حين اغمض ارستوفان عيني المأساة الاغريقية .

ولقد كان لوكريس اعظم الشعراء الرومان طراً . لم يكن شاعراً عظيما فحسب ، بل رائدا في الشعر . لكنه كان عالماً في الوقت نفسه ، ولقد كتب في لغة شعرية لا يمكن للسان الانساني ان يتسامق اليها في اية لغة على الاطلاق ، موضوعة علمية عنوانها « في الطبيعة » هاجم فيها الاوهام ووصف الظواهر الطبيعية ولثبت ان النفس والفكر جزءان يتجزءان من البدن الانساني بحيث لا يمكن ان يكون لهما وجود مستقل ؟ وناقش طبيعة المرض ، واصل العالم ، ونشوء الانسان وتطوره واوائل الحضارة والمجتمع . ولقد نادى لوكريس في هذه الموضوعة بان الزمان شيء نسبي ؛ وتحدث عن الوراثة مبشراً بآراء تشبه النظريات الحديثة حتى درجة بعيدة ، وعن الانتقاء الطبيعي الذي كان له دوى هائل حين سرحه داروين في كتابه عن « اصل الانواع » . ولقد وضع لوكريس ايضاً نظرية ذرية تقول بان العالم البدني كان يحتوي على عدد لامتناه من الجزئيات المتناهية في الصغر ، المتساقطة في الفضاء اللامتناه ، منحرفة ومتلاقية ومتصادفة ومجتمعة لتشيد وحدات صغيرة تتجمع في كتل اكبر بحيث تشكل العوالم المختلفة ، وليست الكائنات الحية الا تجمعات من هذا القبيل ، ذات طراز خاص ، تؤلف الحياة الفعل المتبادل ما بينها ، وليس من يجهل ان نيوتن استقى من هذه النظرية بعد سبعة عشر قرناً ، كما استمد دالتون منها في القرن التاسع عشر اوزانه الجوهرية وقوانينه الاساسية . أيكون لوكريس اذن شاعراً ام عالماً ؟

ولقد كان هؤلاء الرجال جميعاً قدوة للغرب عندما نهض من كبوته . وان رمز النهضة هو ليوناردو دي فنشي، هذا الرسام الذي ابدع «العشاء الأخير» و «الموناليزا». لقد كان دي فنشي فنانا عظيماً ، لكنه كان في الوقت نفسه ضليعاً في فروع مختلفة من العلوم . كان مشرحاً ، ومهندساً ، ومعمارياً ، ورياضيا ، وعالماً بالمستحاثات ، وبالكونيات ، ومخترعاً لاجهزة عديدة منها العرفة المظلمة ، ومقياس رطوبة الجو ، والغواصة ، والمدفع الذي يحشى من قاعدته . ولا يعرف التاريخ انساناً برهن مثل ليوناردو على سمو الفكر ووحدته . أتراه كان من رجال الفن ام من رجال العلم ؟

اجل ، ان العصور الذهبية كانت عصوراً من العظمة نطلق فيها العلم والفن قدما وقد تشابكت ايديهما . أتكون مثل هذه العصور قد انتهت وولت من غير رجعة ؟ نعم ، هذا ما يقوله البعض ، زاعمين ان الثورة الصناعية في نهاية القرن الثامن عشر هي التي وضعت لها حداً . بيد ان الثورة الصناعية هي التي منحت عالمنا الحديث بنيته الحاضرة ، وهي التي حولت العلم عن الاهتمام بالسماء وكواكبها وحدها ، وببعض الاشكال الهندسية والمعادلات الرياضية الى الامور التي هي حالياً مشاغلة الرئيسية ، هذه الامور التي يشكل استخدام القوة الميكانيكية محوراً لها أوليست هذه الثورة الصناعية بالضبط هي التي خلقت الحركه الرومانطيقية في الفنون والآداب كرد فعل لها ، هذه الحركة التي حولت حساسيتنا تحويلا جديداً ودمغتها حتى ايامنا الراهنة .

فما دامت الفنون تتأثر بالظروف والمناخ العاطفي والفكري السائد في عصرها ، فلا بد ان يؤثر العلم فيها ، بصورة فاعلة او منفعلة . هكذا ادت الثورة الصناعية في مطلعها الى رد فعل متفاوت عند الفنانين ، فتقبل الشاعر بليك تحديها بصورة واقعية في ملحمته «اوروشليم» بينما هرب ولتر سكوت من وجهها بصورة رومانطيقية في «ايفانهو» . وبالفعل ، فان الفلسفة الالية الخاصة بالسبب والنتيجة ، بما يتبعها من الحتمية العلميه او القدرية ، قد طبعت الكتاب والفنانين بطابع التشاؤم الذي ساد الرواية الكلاسيكية والفن عموما منذ فجر الثورة الصناعية حتى ايامنا الحاضرة .

ولقد قلت ان الثورة الصناعية والحركة الرومانطيقية التي اعقبتها حولتا حساسيتنا ، وكان الاولى بي ان اقول انهما خلقتاها خلقاً جديدا . ذلك ان العلم بدل افكارنا بطريقتين اذ حقن فكرا جديدة في الثقافة القديمة المألوفة ، ومن بعد اخضعها لضغط التبدل التقني ، بحيث اعيد بناء اساس ثقافتنا من جديد بصورة غير محسوسة : ولنأخذ مثلا على ذلك : ان اختراع الطباعة لا يؤثر في ظاهر الامر في مضمون الشعر ، ومع ذلك فانه حين يكون في مقدورنا ان نقرأ القصيدة مرارا وتكرارا ، فمن الطبيعي ان ينزلق اهتمامنا من ايقاعها الى معناها كذلك الامر بالنسبة الى التصوير الفوتوغرافي الذي افقد الرسام اهتمامه بالشبه الخارجي ليوجهه نحو اعماق الانسان ، افقده الاهتمام بالشكل ليركز عنايته على المضمون وعلى العموم ، فقد تكونت حساسيتنا تكوناً جديداً من جراء مثل هذه التبدلات الدقيقة .

واذا شئنا ان نتمادى في حجتنا قلنا ان العلوم أعطت الفنون اكثر بما لا يقاس مما يحسب البعض انها سلبتها اياه . لقد فتح العلم امام الفنانين ميادين من الطبيعة جديدة كل الجدة لا يزالون بعد في سبيل اختبارها ، فكم بالحرى التعبير عنها . ويتضح التحدي الذي يوجهه العلم الى الفنون في بعض الوسائط التي خلقها كالفيلم والراديو والتلفزيون ويقول منتج سينمائي : «لقد سقط الفيلم ذو الابعاد الثلاثة علينا ان نتحكم في الاشكال الفنية للفيلم الصامت ، وكم بالحرى الفيلم الناطق .» فاذا كان اختراع الطباعة قد حول الاهتمام عن الايقاع الى المعنى ، فما عسى ان تكون نتائج الراديو بالنسبة الى الاشكال الشعرية والمأسوية ، وعلى العموم بالنسبة الى الكلمة المنطوقة ؟ وما عسى ان تكون نتائج التلفزة ايضاً ؟

فليس من تنافر بين العلوم والفنون اذن . اننا نصادف جميعاً ، بوصفنا هواة ، مصاعب في تتبع الفنون الحديثة من ادب وموسيقى ورسم ، وهي على وجه التقريب نفس المصاعب التي نصادفها في فهم افكار العلم الحديث الاساسية . ولعل السبب في ذلك هو افتقارنا الى لغة عمومية في ثقافتنا . بيد ان ثقافتنا كلها تتجه نحو خلق مثل هذه اللغة العمومية التي ستوحد على اساس من التفاهم المشترك بين الفن والعلم ، كما ستوحد الانسان العامي ورجل العلم على حد سواء .

قبرها الذي مات معها

بقلم : علي بدور

كانت مقبرة (العرابي) ساكنة قريرة : حتى بدت القبور حزينة رغم ما اشتملت عليه من ورود وازهار ، واغصان مختلفة من شجر البرتقال والليمون والزيتون وكان النحيب الذي يتصاعد في الجو يصل اذان المارة في الطريق المحاذية للمقبرة اشبه بتراتيل بسيطة : صاغها الحنين ، ورجع ألحانها الشوق لاحياء قد ماتوا ، ولم يتركوا الا ذكراهم تتلاشى شيئاً فشيئاً ، مثل شمعة تضيء ظلمة ليل حزين موغل في الحزن ، وكانت القبور قد نثرت هنا وهناك في غير انتظام ، شأنها في ذلك شأن الحياة الانسانية قاطبة .. وكانت احجار القبور المنتصبة اشبه بسنابل سمقت سوقها عالياً وظلت رؤوسها فارغة من الحب حتى لكأنها تعبر عن الموت الذي لا يخلف بعده شيئاً عدا التفاهة والزوال . اذ الاحياء ينسون الاموات بسرعة في زحمة الحياة . والاموات تحت الثرى ، تتوزعهم الديدان وجبات عديدة .. وتبقى العظام .. و .. الجمجمة ، رامزة الى ان المصير البشري عظمات وجمجمة فارغة الجوف ، خالية من الفكر الدقيقة والخواطر الرقيقة ، والحماسة التي تبلغ اشدها في رؤوس القادة !!

لعلها المرة العاشرة التي ازور فيها مقبرة (العرابي) انني أعلم علم اليقين ان اختي جليلة قد دفنت في الزاوية الغربية من المقبرة . ولكنني بعد ان اتعب من البحث عن قبرها في المكان المعهود اذهب باحثاً على غير هدى في المقبرة كلها عن قبرها بين القبور باسطاً كفي لتربتها ، متحسساً الاعشاب التي تغطي القبور غير المستترة بصفائح الحجارة ، لعل في هذه الاعشاب شيئاً من براءتها من طفولتها اليانعة ، من انسها الرقيق من بشرها الذي كان يغيض فلا يغيض انني الى اليوم أحاول أن أطمئن الى مصيرها والى اليوم مازلت غير متفهم هذه الاسرار التي تحيط حياتنا ، اذ ما الفائدة ، من حياة فتاة صغيرة لم تتجاوز الثلاثة بعد ، وهل اذا كان مقدر لها أن تولد ، فلماذا يقدر لها أن تموت وهي بعد طفلة بريئة ؟ .

كانت خليلة الصغيرة بالغة الحلاوة عينان سوداوان وأنف رقيق وسمرة محببة الى القلب ، وذكاء أكثر من المعتاد في اترابها وفم يضحك ويضحك ، حتى لترتسم من خلل الدموع على شفتيها ضحكة خفيفة بريئة براءة الطفولة ، وكانت اسرتنا تعيش على بهجة هذه البراءة العميقة اذ ليس ابهج من اسرة تضم فتاة الى عداد افرادها الذكور فيستطاع حينذاك التعرف على حقيقة البراءة التي تمثلها المرأة ولو كانت بعد صغيرة ، وكذلك يستطاع تلمس الحنان والعاطفة الخالصة والرقة ، وليس اتعس من عائلة ضمت الذكور ، ولم تسعد بانثى واحدة . ولقد كنا نعلم ذلك كله ، ونعلم ان الأم مهما كانت وفية لأولادها وزوجها ، بالغة الرقة والعطف ، فاننا الذكور ، لم نكن نستطيع تلمس ذلك الا مشوباً بعاطفة الأمومة ، تلك العاطفة التي تحجب عن أعيننا كل ما كانت تشعر به أمنا ، عندما كانت فتاة وكل ما كان يفيض عن نفسها وقلبها وهي لم تزل صغيرة طرية العود ..

وكنا ما نفتأ انا وأخي في كل صباح ، – نطلب الى أمنائي الحاح ساذج ان تأتينا ببنت . إننا مللنا رتابة العيش ، والتكرار في اسلوب الحياة اننا نريد أختاً تملأ البيت صراخاً ، ونريدها أن تحبو ، وان تنهض ، وأن تذهب معنا الى المدرسة ونريد عدا ذلك كله ان نطعم شجرة العائلة بفتاة ، لعل هذه الشجرة تستطيع التمدد والانبساط بما سوف تكسبه من مرونة وبما ستحوز عليه من قابلية للتزايد .. في الاوراق والازهار والثمار !! وكان ابي يضحك وتلمع عيناه بجذل هادىء ويربت على كتفينا وهو يتصنع بلاهة الاطفال :

– انها آتية على الطريق .. ولا تلبث البضاعة ان تصل ! !

وبالفعل ، فقد كانت جليلة آتيه . . وكانت بضاعة بشرية من نوع ممتاز ولكن كان لها من الطباع مايقطع انها لن تعيش . كانت لاتعرف البكاء ، انها صامتة دائماً . اشبه براهبه تتحدث صمتا ، وكانت طيعة وديعة مثل حمامة رأت حولها الطبيعة سعيدة مثلها ولكن في وقار صاف وهدوء تخاله سير النسيم في اماسي الصيف . ولم يكن في وجهها من التعابير ابرز من هذه الرقة . . هذه – الصياغة الالهية البارعة . . هذه الامثولة الحية التي تريد ان تشيع الهدوء والسكينة في وجود صاخب قد ملأه الضجيج وكان في وجهها عدا ذلك كله ابتسامة موحية لاتبرحها ، كروح التبسم عندما يتجسد في وجه ملاك صغيرة . وكانت جليلة تعبر اكثر ما تعبر بعينيها عن مشاعرها البريئة واحساسها البكر – وعاطفتها السمحة .. وكنا نفهم ، انها تحب او تكره ، تسر او تحزن ، تريد أو ترفض ، من عينيها الصافيتين اللتين كانتا ولا شك ، تعكسان لنا صورة حية عن قلب صاف لم تعكره اكدار الحياة بعد .

والفناها .. بكل جوارحنا . كانت بهجة البيت الصامتة من بسمتها تضيء ليالينا ؛ وعلى هدى ضحكاتها نتمتع بالسعادة وفي حركاتها صورة صادقة عن نشاطنا الدائب الذي لا يفتر وكانت تبدو جميلة بل واكثر واقعاً من حال الجمال ، عندما كانت تحبو ، لتحضر لأبيها مسبحته او لتتناول الطاسة من النافذة او تلعب بدفتر أخي ، وقد أوشك أن يتفتت بين اصابعها العابثة .

في الصباح الباكر ، وبينما تكون خيوط الفجر يجتمع بعضها على بعض لتشكل غلالة زاهية للصباح الجميل ، تكون جليلة ، قد تحركت من فراشها ، ومرت بأمها وأبيها معجلة تريد أن تدركنا قبل ان نصحو . . وتندس تحت اللحاف مثل هرة ذات جلد أملس نظيف وتبدأ العبث بأقدامنا ، فنصرخ ضاحكين وتكاد تنفجر ضاحكة مسرورة ، انها تعيد ذلك في كل يوم ، وننتظره نحن في كل يوم منها ، رغم انها الان موسدة وحدها ، في قبرها الصغير ، ولعلها لاتستطيع ان تتحرك ولاتستطيع ايضاً أن تعبث باقدامنا لنصحو .. على دنيا فارقتنا منذ ودعنا الطفولة اللاهية .
فمازلت اذكر الى اليوم آخر نهارلها ! استيقظت كعادتها فايقظتنا وكان يوم جمعة . وبعد ان انصرف والدى وذهبت والدتي الى المطبخ لتغسل ثيابنا ، جاءت جليلة وتمددت بيني وبين أخي . كانت مسرورة أكثر من الاعتياد . وكانت تضحك بشدة حتى خيل الي أنها سوف تموت من الضحك وقامت نصف قومة تريد النافذة لتشرب ، ثم رجعت لترتمي بيننا ، وكان شيئاً قد مسها توا فاصابتها رعشة برد وعلا وجهها اصفرار مفاجىء وتحول قدماها الى ثلج ولكنه لا يذوب ، انه يزداد برودة باستمرار ، ولم يبق في وجهها سوى بريق عينيها المعبر عن خوف لاحد له .. وادركنا بغريزة الطفولة أن اختنا العزيزة تعبر يوماً خطراً ، وان كنا بعد لم نتصور انها مائتة لامحالة . ولما عادت أمي من المطبخ تريد تنظيف الغرفة ، رمقت جليلة بعين الأم التي تفهم كثيراً ، فلاح على محياها انكسار وهمود ، وضمت جليلة الى صدرها واخذت تبكي .

كانت جليلة تشكو مرضاً بسيطاً لعله من الامراض التي تنتاب الاطفال عادة في مستهل اعمارهم وكانت عنايتنا بها محدودة ، بحيث اذا تفرغت أمي من عملها الدائم اخذتها الى الطبيب في أوقات عمله المجاني التي يقفها على الفقراء

وعادت بوصفة بسيطة ، لعلهـــا كانت توقف المرض عن الزيادة وان كانت لا تقضي عليه . وكان اصل العـــلة برد نالها في حفلة عرس دون ان تحتـــاط أمي لذلك بالاغطية الكافية ، فكانت القاضية . والى اليوم لست ادري كيف ماتت جليلة ظهراً ، كل الذي أعلمه أن أمي خالفت حرصها لأول مرة ، فلم تمنع عنها قطعة صغيرة من الكبة التي كانت تعدها للغداء ، ولعل أمي قد يئست من شفائها ووثقت ان هذا اليوم ، انما هو يومها الأخير .. فماذا يجديها أن تردهـا عن قطعة كبة لن تميتها وحدها ما دامت اذرع الموت توشك أن تحتويها بسرعة لاحد لها ، فلما عدنا من السوق رأينا أمنا تبكي وجليلة ممدة في سريرها وعلى وجهها ملاءة بيضاء ومن سريرها تعبق رائحة طيبة كأن شجرة ياسمين قـــد مدت جذورها في جسد جليلة والتفت اغصانها الرقيقة على اطراف السرير الحديدية الصدئة . لم ابك، وكذلك فعل أخي ،وان كان أبي قد تأملها كثيراً ولاحت على وجهه أمارات الحزن الا أنه بدا طبيعياً كأن جليلة لم تمت وكأنها لم تولد ، فـلم نحزن كفاية لموتها ، وعندما حملوها في الليل كان الظلام يلف منزلنا شيئاً فشيئاً ، وكأنـه يريد ان يخفي لوعتنا اليائسة الصامتة في فضائه العميق الكثيف ، حتى اذا اشرقت شمس الصباح بدت الدنيا سعيدة وتابعت الانسانية سيرها ، وهي وان كانت تفقد بعض أبنائها في الطريق ، الا انها لا تكف عن المسير .

شعرنا بوحشة قاتلة في الاشهر الاولى لفراقها الابدي، ولكن في الانسان هذه الطبيعة المحببة ،المقدرة على النسيان والاندماج في المشكلات الجديدة وممارسة الصعوبات المتتالية التي تدفـع المرء لأن ينسى الماضي وكل مافيه أكان حافلا بالمسرات أم طافحاً بالفواجع والآلام ولقد اصبحت جليلة في نفوسنا ، ذكرى من الذكريات العـابرة ، هي لم تعمر أكثر من ثلاث سنين وماتت دون أن تترك اثراً ما ولم نعد نذكر سوى يومين من حياتها يوم ولدت ويوم ماتت ،حتى قبرها الذي ضمها الى الأبد أصبح ذكرى ايضاً ، اننا اليوم قلما نهتدي اليه ،وقلما نزوره في المناسبات العامة كأيام الاعياد مثلا ، ولكنني برغم ذلك كله ، عندما أقف وحدي في هذه الدنيا الواسعة وأشعر أنني بحاجة الى انس المرأة لاعمر بـه قلبي ، فلا اجـده ، يعز علي أن لا أجد الاخت الطيبة كذلك وتنتابني خيالات مريضة ، مخيفة فأتمنى أن تواصل جليلة حياتها الصامتة وهي في قبرها ، فتكبر وتكبر وتخرج في ليـــلة داجية أشبه بحورية ساحرة ، تعرف ان لهـــا أخاً لايزال ينتظرها ، ولا يزال يعيش على هذا الأمل ما وسعه العيش .

أبي اليوم في عداد الأموات ، وامي تضع رجلا في المقبرة ورجلا على بابها وبيتنا لا تملأه البهجة ولا يعمره الانس والأيام لم تعد تسمح ، كي نطلب بسذاجة الاطفال من أمنا أن تأتينا ببنت حلوة - نعيش واياها بحنان وحب ، ولم يبق لنا أب طيب يمازحنا ويطلق نكاته عن البضاعـة الطيبة التي قطعت اكثر مراحل الطريق ، وانى التفتنا وجدنا النجوم بعيدة ، وقلوب الفتيـــات تفيض بالود للاخوة والاحبة وليس هناك من قلب يشار كنا شعورنا بان الحرمان من زاد العاطفة الانسانية أشبه بالحرمان من الماء والهواء والطعام،

ان جليلة الصغيرة قد ماتت ولكنها لاتزال تنمو الى اليوم في قلبي وتكبر معه فهي اليوم في حدود العشرين من عمرها تبتسم للحياة في جذل وتطلب انس قلبها بهدوء ، مادامت تريده مقيما لا عابراً .

إن هذه الاحلام العذبة والاوهام التي يبهرجها الخيال اشبه بالسراب الذي يخفي الحقيقة المرة الناطقة بان جليلة قد ماتت ولها من العمر ثلاث سنوات ، وان قبرها قد درس بالتأكيد مادمنا قد اكتفينا بتلة تراب صغيرة ، قد مهدتها اقدام السابلة على ممر السنين ، وافراد العائلة قلما يزورونها ولو في العام مرة ، وجليلة لن تكبر في قبرها ولو مقداراً ضئيلا .. ولعلها اليوم قد امحت حتى جمجمتها وعظامها يمكن ان تكون قد ذابت ، فعظام الاطفال كالسنابل سرعان ما تفنى بتأثير الطبيعة وقسوة الحياة . انها ولدت .. ثم ماتت لم تأت ذنباً ، ولم تغضب أحداً ، فتركت في حلوقنا غصة ما أمرها اذ لا استطيع ان انسى هذه الوردة التي تفتحت على شمس نيسان ، ثم فاجأها الصقيع فايبسها من جذورها وترك في الجو انساماً عطرة من شذاها فساقتها ريح الجنوب في اتجاه مقبرة (العرابي) لتوزعها اريجها على كل القبور المماثلة عساها تصيب قبر جليلة الضائع .. قبرها الذي مات معها ..

... وايان ذهبت وحيثما توجهت فان عيني تمتلآن بدمع سخين كلما تمثلتها وهي تحاول ان تندس تحت اللحاف مثل هرة جميلة ذات جلد أبيض نظيف ، تمازحنا وتلاطفنا وتنتزع الضحكات من افواهنا انتزاعاً وكلما تذكرتها ... وتذكرت قبرها الضائع بين القبور ، وشاقني الحنين الي اخت مخلصة ، تساءلت بين مصدق ومكذب :

ــ ترى أتعود جليلة مرة اخرى ، ام انها مضت ولن تعود ؟

علي بدور ــ حلب (سوريا)

★ ★ ★

ـ اعلان ـ

ان امانة العاصمة .

بناء على احكام القرار رقم / ٩١١ / المؤرخ ١٦ / ٦ / ١٩٦٥ الصادر عن وزارة الشؤون البلدية والقروية والقاضي بتطبيق قانون تنظيم عمران المدن على العقارات الداخلة ضمن منطقة تنظيم قصر الحجاج المبينة حدودها في المصور التنظيمي رقم ١٧ تنظيم . وعملاً باحكام المادة الثانية من القانون المذكور ، تدعو جميع اصحاب هذه العقارات او من له حق عيني عليها او له علاقة بها اصالة أو وصاية أو وكالة ان يقدم الى امانة العاصمة خلال عشرة ايام تبدأ من تاريخ نشر هذا الاعلان بياناً يعين فيه محل الاقامة الذي يختاره في مدينة دمشق وان يربط مع البيان المذكور ما لديه من المستندات المؤيدة لحقوقه او صوراً عنها فاذا لم يكن لديه مثل هذه المستندات أو كانت مستنداته غير جامعة للمعلومات المطلوبة فعليه ان يشرح في البيان الآنف الذكر الموقع والحدود والحصص والنوع الشرعي أو القانوني للعقار أو للحقوق التي يدعي بها ويجوز لاصدقاء أو اقارب ذوي العلاقة القيام بالواجب المنصوص عنها دون الحاجة الى توكيل رسمي .

عن امين العاصمة
امين السر العام

اعلان عن طلب عروض

تعلن مؤسسة كهرباء دمشق عن رغبتها بتلزيم نقل وتخليص البضائع التي تستوردها عن طريق مرفأ اللاذقية الى مستودعاتها في دمشق والقابون والهامة .

فعلى من يود الاشتراك الاطلاع على دفتر الشروط في مصلحة التموين في المؤسسة ، خلال اوقات الدوام الرسمي وتقديم عرضه خلال مدة تنتهي في الساعة الرابعة عشرة من يوم السبت الواقع في ٣١ / ٧ / ١٩٦٥ .

ـ مدة الالتزام : سنة واحدة
ـ التأمينات الموقتة : ثلاث آلاف ليرة سورية
ـ التأمينات النهائية : خمسة آلاف ليرة سورية

المدير العام
المهندس اديب الزعيم

قصيدتان

للشاعر الأرمني طانيل واروجان

– ترجمة نظار . ب . نظاريان –

الفـــــــلاحون

هم فلاحو قريتي ، ابناء السهل الجبابرة ،

لقد نسجوا بيواقيت عرقهم تاج الطبيعة .

يخفق قلب الثرى تحت صدورهم الشعره .

وتفيض الشمس في عروقهم العريضة .

من مشيتهم ترتعش الدنيا الام من اعماق رحمها .

ولكن لاتذبل تحت اقدامهم الجبارة حتى جذيرة واحدة .

فرؤوسهم المطأطئة امام المذبح المقدس ،

مكللة دوماً بغبار التبن الذهبي .

انهم يزرعون الحبور في أثلام الارض

ويحصد الله من ثلم جباههم كل الخير .

هم وحدهم سمعوا أغنية جريان نسغ الحياة .

ما يضيرهم إن كانت ايديهم بلعاب الثور مضمخة ،

ومن ثيابهم الملونة رائحة الاسطبل فائحة .

فالبذور في البدء تنتش في اكفهم الواسعة .

★ ★ ★

ثـــــــيران النير

ثيراني شقر بجباه تشع بالنور

زينتها بالحجاب الازرق ،

هي سكرى من نسمات صباح الربيع .

– تنظر آمنة الى السهول الهادئة .

في الشتاء غذيتها بالاعشاب اليابسة .

– كأنها اصنام الهيكل السمينة ،

ذيولها الممشطة الغزيرة

تلحس خواصرها كالحية .

أحب منها الكواهل بثناياها العديدة ،

وانوفها الرطبة واهدابها الكبيرة ،

حيث يكمن الحلم الثابت للسهول .

وأحب تأرجحها في السير ، وخوارها القوي

في الافاق – عندما تسير باستمرار

غارزة قرونها في كبد الفجر .

★ ★ ★



المسبح

بقلم : عبد المعين الملوحي

المشهد الأول

يرتفع الستار عن غرفة ذات اثاث جيد : مكتب محام : منضدة عليها اضبارات وبعض الكتب ومحبرة فاخرة . وجهاز هاتف ، وعلم كشفي مكتوب عليه « واعدوا لهم مااستطعتم » والى الجانب الايمن والايسر تقوم مكتبتان ضخمتان فيها كتب مجلدة كبيرة ، ونافذة عن يمين المكتب لها ستائر مخملية زاهية : وفي جوارها ساعة كبيرة . المحامي يلبس لباساً جيداً ويضع ربطة عنق فاخرة ، وهو في حوالي الاربعين من العمر . ولكن نضارة الشباب واثار النعمة والرفاهية ماتزالان تتألقان في وجهه : ـ المحامي يكتب في ورقة امامه مرافعة امام القضاء . باب الغرفة مفتوح يطل على حديقة فيها اشجار عالية وازهار . ويقع باب الغرفه امام المكتب في شكل يتمكن فيه الجالس وراء المكتب ان يرى من في الحديقة . ومكتب المحامي كله يظهر انه جناح من بيته .

المحامي : (يرفع رأسه عن الورقة قليلاً) : دعوى غريبة . يظهر ان كسبها مستحيل . ومع ذلك فلنجرب ان صاحبها شيخ شباب في الحارة .. لنجرب . (يعود الى الكتابة) (يدخل خادم المكتب شاب في الخامسة والعشرين من عمره طويل . يلبس سروالاً وقميصاً . وعلى رأسه طاقية بيضاء) يرفع المحامي رأسه ...

المحامي : جئت بالاغراض ياصالح .

صالح : نعم يامعلمي .

المحامي : ماالاسعار

صالح : كل شيء غال . باقة البقدونس بفرنك . حطو فيها عرقين .

المحامي : ماالاخبار ؟ .. كيف البلد .

صالح : شغل البلد حمام السباحة . بعضهم يريد الحمام وبعضهم لايريد الحمام . والناس اجناس . يمكن حدوث اضراب ، الحالة خطرة

المحامي : قل لي رأيك ياصالح .

صالح : والله يامعلمي . انا مع الحمام . مع السباحة . كل يوم ابني خالد يروح الى الساقية ويسبح ، ولولا رحمة الله غرق امس . . لو كان في البلد حوض سباحة لما خفت عليه .

المحامي : صحيح ياصالح ... لاتنس اني قائد كشافة . . . من عشرين سنة وانا قائد ... والكشاف رياضي ...

(تسمع حركة وجلبة عند الباب قرب الحديقة ، يذهب صالح الى الباب ليرى ما هناك ؛ ويقف عند مصراعي الباب)

صالح : (من الباب) ناس كثار يامعلمي ، معهم عريضة ، شباب . (للناس في خارج الغرفة) أهلا وسهلا ، تفضلوا البيك موجود ... أهلاً وسهلا . (يتنحى عن الباب) (يدخل عدة شباب ، يلبسون ثياباً نظيفة ، أكثرهم طلاب ، وبعضهم يظهر عليهم أنهم رياضيون ، زنودهم عامرة ووجوههم سمر)

الشباب : السلام عليكم ... مرحباً . . جميل بك ...

(المحامي يهب واقفاً ، يخرج قليلاً عن المنضدة ، يصافحهم فرداً فرداً ويرحب بهم ..

المحامي : ـ أهلا ياشباب ... تفضلوا ... اقعدوا ... خير ان شاء الله ... أمر

أحد الشباب : حوض السباحة . ياجميل بك أول من يهتم ...
شبابنا في الأزقة . . . كل سنة يغرق ثلاثة
أربعة في النهر وثلاثة أربعة في الساقية ، نريد
حوض السباحة

المحامي : كرمى للشباب .. أهلاً وسهلاً .. الحمام ضروري ،
خدمة صحية وطنيــة .. بارك الله بكم ... أمر

شاب آخر : عريضة الى رئيس الجمهورية ... نريد المسبح ...
المكان جاهز الماء جاهز ، الشباب ضائع .
(يقدم العريضة الى المحامي . المحامي يقرأ ...

المحامي : عال .. كلمة حلوة ... طلب حق ... بارك الله
فيك أمر

الشاب الأول : نريد التوقيع .. تفضل (يخرج من جيبه
قلماً عادياً ويريد إعطاءه للمحامي)

المحامي : طيب أمركم ... كل البلد يجب أن توقع . . .
كفانا لعب أولاد ، الملعب البلدي يجب أن يكون
له مسبح ... كرمى لكم .. (يوقع العريضة ،
وهو يبتسم)
تريدون دراهم ، أرسلوا برقية مستعجلة الى رئيس
الجمهورية ... (يمد يــده الى جيبه ويخرج محفظة
منتفخة بالأموال ، ويدفع ٥ ليرات سورية خذوا
واذا لزم دفعت لكم ، بارك الله فيكم ،
هكذا يكون الشباب . لم أضع عشرين سنة في
الحركة الكشفية عبثاً .. هذا جيل القوة ...
الرسول عليه الصلاة والسلام قال : علموا أولادكم
ثلاثاً : السباحة والرماية وركوب الخيل .

الشباب : بارك الله ... شكراً يا أستاذ ... غمرتنا باللطف ،
شكراً .. السلام عليكم ...

المحامي : (يودعهم الى خارج الغرفة في الحديقة)
مــع السلامة يا شباب . . . أتمنى لكم التوفيق
والنجاح . خبرونا عما يحدث . الله معكم ... (يعود
الى الغرفة ، وهو ينتفخ)

صالح : بارك الله بك يا سيدي ... الفهيم يربح .

المحامي : الشباب روح هذه الأمة ومستقبلها . . . المسبح
ضروري .
رمز الكشاف « واعدوا لهم ما استطعتم ، أما
ترى العــلم ؟ (يشير الى علم الكشاف) كم
الساعة يا صالح :

صالح : (ينظر الى الساعة) احدى عشرة إلا خمس دقائق
عندي شغل . (يخرج)
(يختفي المنظر شيئاً فشيئاً ، وينسدل الستار
قليلاً قليلاً)

المشهد الثاني

(يرتفع الستار رويداً رويداً ، يظهر المنظر شيئاً
فشيئاً والساعة الكبيرة في الحائط تدق تماماً احدى
عشرة دقة ،) المحامي جالس يكتب ...
(بعد قليل تسمع ضجة كبيرة في الحديقة . المحامي
يترك القلم ، أصوات :

صوت ـ أين أنت ؟ جميل بك

صوت ـ جميل بك لها

صوت ـ يا صالح

المحامي : (يترك المنضدة ، يمشي الى باب الغرفة ... يدخل
عدد من الناس
أميل الى الكهولة من الشبـاب . . . بعضهم له
ذقون ، وبعضهم يلبسون الكوفية على رؤوسهم
كالعمامة ، وبعض له عمامة مطرزة ، وفي يد واحد
منهم عريضة كبيرة ، يطويها مرة ، ثم ينشرهـــا
مرة ثم يعود فيطويها)
أهلاً يا إخوان ... شرفتم

صوت : السلام عليكم ... جميل بك

أصوت متتالية : كأنها جوقة في رتوب : السلام عليكم
... السلام عليكم ....

المحامي : شرفتم ، السلام عليكم .. وعليكم السلام ، (يصافحهم واحداً واحداً) خير إن شاء الله .. أمر

أحد الزائرين : ياجميل بك ... جئناك وأملنا منك كبير.. انت رجل مثقف ولكنك متدين والحمد لله قضية المسبح تشغل بال البلد ... نحن لانريد مزيداً من الكفر والفسق والفجور ... المسبح اليوم للرجال ، وغداً للنساء ، وبعد غد للرجال والنساء معاً خلط ملط ، ونحن مؤمنون ...

زائرتان : المسبح خطر على أخلاق الجيل ... نحن مسئولون أمام الله والناس : العاصي كبير ، الساقية تكفي ... لا ينقصنا الا المسبح

زائر ثالث : دماؤنا فداء اخلاقنا ... إنما الامم الأخلاق.. العلماء ورثة الانبياء .. كلهم لايريدون المسبح واحد فقط خالفهم ، أغواه الشيطان ... الامل في رده الى الصواب كبير ... أصلحه الله ...

المحامي : الحق كل الحق معكم ... أماكن كثيرة للسباحة.. وتضمن للجسم نشاطاً اكبر ... فالمسبح صغير وضيافته قصيرة والنهر كبير ... والمسافة واسعة.. البلد لا يحتاج الى مسبح أنفقوا أموال المسبح على تصليح البلد ، على ردم الحفر ، على شق المجارير .. ذلك أولى ... بارك الله بالاخوان الكرام ... ماذا تأمرون

حامل العريضة : توقيعك الكريم يا جميل بك .. توقيع له قيمة .. يهز البلد هزاً .. ليس الشباب المثقف ملحداً .. بل إن أحسن الشباب ثقافة أكثرهم حرصاً على الدين والاخلاق ، بارك الله بك

المحامي : (يخرج القلم ويوقع) كل البلد يجب ان توقع... كفانا مهازل ... النهر كله مسابح ... السواقي مسابح ... أنفقوا أموال البلد على مصلحة البلد...
« يدخل صالح الخادم ويرى المشهد ، المحامي يتابع كلامه : صالح يفغر فاه دهشاً) الى رئيس المجلس النيابي ... الى الوزراء ... الى الصحف بارك الله فيك ووفقكم (يخرج خمس ليرات ويدفعها لأحدهم) بالخدمة ... دائماً بالخدمة

الجماعة : (تتحرك لتخرج) شكراً يا جميل بك ... السلام عليكم يصافحونه . يتكرر مشهد اللقاء.

المحامي : (يخرج الى الحديقة لوداعهم ... ويعود بعد قليل)

المشهد الثالث

(المحامي يعود وهو فرحان ، صالح لايزال يفغر فاه كأنه لايفهم ما يدور)

صالح : خير ان شاء الله يامعلمي

المحامي : خير

صالح : وقعت عريضة ضد المسبح

المحامي : نعم

صالح : ومنذ خمس دقائق وقعت عريضة مع المسبح

المحامي : نعم ... وخرج الفريقان من عندي راضين

صالح : وآيات القرآن والحديث الشريف ، وعلم الكشافة..

المحامي : كل ساعة ولها ملائكة ياصالح .. المهم أنني أرضيت الناس جميعاً

صالح : والله يا معلمي عجيب : ساعة لها ملائكة رحمة وساعة لها شياطين نقمة ... الله يصلحنا ... أنا والله مع المسبح ... أمس كاد ان يموت ابني في النهر ... كل سنة نفقد عددا كبيرا من الغرقى ... لا والله اخطأت .. الله يصلحنا

(يسدل الستار وصالح يتكلم والمحامي يمضي ليجلس وراء منضدته ..

« ظالمـــــــة »

• لعبد الرحيم الحصني •

هدي بعينيك ، أم فيهن اغواء
أم آية الله فيها (الحاء) (والبـاء)

داعبت نفح الصبايوما فكنت له
راح الشبـاب ولم تمسه صهبـاء

الفاتنـان وفي جفنيـك سـرهما
كلاهما للقلوب البرء . والداء

يانسمة من رؤى نيسان أرشفها
لهـا بقلبي آفـاق وأنـواء

تمرد الطيف لمـا راح يهجرني
بعـد ارتشافك سلوان واغفـاء

جنـاية العـين الا ان عابرهـا
تكشفت عنه . أشياء . وأشياء

أفديك رامية مامل رميتهـا
قلب ولا شعوت بالحزن أعضاء

نامي على المهج الكلمى فقد هنئت
بك النفوس ، وطابت منك ضراء

يرضى المحبين ما يرضي أحبتهم
فليفعلوا بقلوب الحب ماشـاؤوا

★ ★ ★

الفنان والقديس

(تتمة ما نشر على الصفحة الاولى)

عفا الله عني » . ليرحم الله اذن كاهن (البانو) Albano ولنصرف النظر بأسف عن هذه الحالة النقية جداً حيث ينحل الاستعداد الباطني الذي يدعو الفنان الى القداسة، ينحل الى اثار فنية تتبخر فيها هذه القداسة الاحتمالية . ولا ريب في اننا نفهم فهماً أفضل مايجري عندما نتجه شطر ضمائر أقل وعياً بطبيعة المشكلة الحقيقية والتي يبدو أن ملاحظتها لم تصنع ابتغاءه تبرير النتيجة التي يود المرء ان ولا يوحي بها .

هنا تظهر لنا « يوميات » Journal (شارل فردينا قدراموز) Ramllz c. -- F. بمثابة منبع لاينضب لان هذا الروائي الشاعر العذب الذي لاحظ نفسه عن كثب شديد قد شاهد على مايبدو منذ وقت مبكر شبه الشذوذ الذى تتميز به موهبة الاديب . وقد كتب في الثالث والعشرين من كانون الاول ١٨٩٦ : « ان الكاهن يدرس وينجح في الامتحان واذا به قد سيم براتب ثابت » . أما الاديب ؟ لماذا ينخرط في حياة تعب طويل ، لاينال فيها النجاح غالباً ، وهو نجاح متأخر وغير مكفول من ناحية أخرى ، المتحلون بالجدارة الكبرى ؟ ان المشكلة كلها هنا : ان الفنان لايشتهي النجاح وحسب ، بل يطلب ذاك الشيء الثمين الى ما لا نهاية ، والنادر ، وهو النجاح بجدارة . وليست مثل هذه الافكار بنادرة حتى عند شاب يبلغ الثامنة عشرة من العمر ، ولكن كيف لانعجب بالحلفة التي قدمها (راموز) بعد مرور أقل من عام ، في السابع من نيسان ١٨٩٧ ؟ « انني أرى بوضوح يعظم يوماً إثر يوم ما ستكون موهبتي لو أنها كانت موهبة عادية ، كموهبة المحامي أو الطبيب التي ينخرط فيها الناس بسرور . ينبغي علي أن أصبح أديباً » !

لاشيء أوضح من ذلك . ان مانسميه « موهبة » وهو اسم غير دقيق في الغالب ، انما هو بالاحرى اختيار واع يحصل من جراء تفضيل لايمنع سوى حصول اختيار آخر . هنا ، لايختار ، بل انه هو موضوع الاختيار . وان معرفة تحليه أم عدم تحلية فيما بعد بشجاعة الطاعة مسألة اخرى ، ولكنه ، ولو رفض الاستجابة لهذا النداء ، يكون بلاريب قد سمعه حقاً . وهو يعلم ، بعد ئذ ، ان ذاك الدرب هو السبيل الوحيد الذي يوصله الى « الوثوق والى السعادة بانجاز رسالته وارضاء موهبته » .

واية موهبة اخرى يمكن ان نقارنها بهذا النداء المنبعث من اعماق الروح ، اللهم الا الموهبة الدينية ؟ ان من يسمعه يشعر بأنه (اكليركي) ، بالمعنى الذي تدل عليه هذه الكلمة في العصر الوسيط ، أي انه كائن « مصطفى » ، ولكنه مصطفى جزئياً من أجل « قدره » الشخصي ؛ وانه مكرس دونما اختياره ابداً ، لخدمة خير سيكون اسهامه في التراث . أجل ان في وسعه رفض ذلك ، ولكن هذا الرفض سيكون خيانة وخطوة أولى في طريق حياة خاسرة كان أحد أصدقاء الرسام (بونار) Bonnard يقول له وهو يجده في مرسمه : « إذن مازلت ترسم دوماً ؟ » . فأجابه الفنان : « أي نعم ! وماذا تريد أن أعمل ؟ » . وفي الواقع ، ماذا يمكن أن نريد من (بونار) أن يعمل ؟ ماذا يمكن أن يعمل هو نفسه غير ذلك ؟ لقد صنع (دانتي) ليكتب . ونحن لا نستطيع ان نتخيل نجاحهم في مجالات أخرى إلا اذا كان نجاح غير الناجحين .

ولذا فاننا ، من ناحية أخرى ، ولو دفعنا اجر العمل الذي يفرضه الفنان على نفسه ، فان هذا العمل يظل مجانياً حقاً . فمن ينحت ، أو يرسم ، أو يؤلف موسيقى لكسب رزقه وحسب إنما يمارس مهنة شريفة تماماً ، ولكنه ليس بفنان ، لأن الفنان لايرضى بأن يعيش من فنه إلا اذا اشترى منه الآخرون هذا الفن من حيث هو فن . وتلك هي مغامرة حياته الكبرى ، لأن المسألة في نظره ليست كالمسألة عند سائر الصناع ، مسألة صنع أشياء ترضي ذوق

الجمهور ، بل المسألة هي أن يحظى بالجمهور الذي يشتري منه الأشياء التي صنعها لارضاء ذوقه الخاص . وذاك مطلب عسير لأن الفنان أولاً لا يثق بأن الجمهور يعترف بقيمة آثاره من قبل أن يموت هو من الجوع ، ولكن ، بوجه خاص ، لأنه هو ذاته لا يثق ابداً بقيمتها مادام لم يفز بعد بنجاحه الاول . انه لا يرغب وحسب في ان يعترف الناس بالجمال الذي يخدمه ، بل انه يحتاج الى أن يكون هذا الجمال حقيقياً . وأنى له أن يثق وثوقاً مطلقاً بأنه جميل ان لم يكن جميلاً حقاً ؟ وهو لا يثق إلا عندما يقصده اوائل المعجبين ، ويليهم التلاميذ الاولون بعد قليل . كان (فاغنر) يعرب بدقة عن فكره عندما أعلن على الملأ ، في المأدبة التي أقيمت بعد مرات العرض الأولى في (بايروت) Bay6euth ، أعلن رأي (كي دي بورتاليس) Guy de Pourtates في مؤلفه عن « حياة ليست » Vie de Liszt ! »هذا هو الشخص الاول الذي حمل الي ايمانه ، وفي وقت لم يكن احد يعلم عني شيئاً الشخص الذي لولاه لما استمعتم ربما الى اي نغم من موسيقاي ، انه هو صديقي العزيز جداً (فرانزليست) » .

وعلى الرغم من ذلك فان أرهف الفتن تترقب الفنان في ساعة نجاحه الاولى : فتنة الاستسلام للجمهور الذي خلقته عبقريته . فعندما يفوز الفنان أخيراً بالجمهور ، فان هذا الجمهور نفسه يطالب مجدداً باللذة ذاتها التي شعر بها في المرة الاولى . وعندئذ يبيع الفنان نفسه في السوق اللوحات حيث يثق بقدرته على ان يضع عدداً غير محدود من الاثر نفسه لدى زبائنه . الروائي يعتد صنع عين الرواية . والموسيقار المالك للغته يكرر نفس الاغاني تكرار الامحدوداً . وبكلمة موجزة ، يصبح الفنان تلميذ نفسه ويكلف كفاءته عبء الشمول من اختراعاته الفذة . وانه لاستغلال جدي مشروع وليكن ملعوناً من به اساء الظن ! ولكن الفنان ما أن يستسلم لذلك حتى يحل الصانع محل الفنان : ويمحي المبدع من الوجود .

وقد يقال : حسناً ! هلا تطلبون ان يكون الفنان بطلاً زاهداً زهادة القديس ؟ كلا ، وباي حق نستطيع ان نطلب منه أمراً من الامور ؟ انه هو الذي يطلب ذلك من نفسه بنفسه ، وهذا هو غير الطبيعي . ولا يفعل عقلاء الناس على هذا النحو ، والفنان يدرك ذلك حق الادراك حتى انه ليشعر بأنه ليس كالآخرين . بل وقد يتفق له الاعراب عن ذلك بطريقته الخاصة في اللباس وفي السلوك . وفي وسعنا الانتقال دون عسر كبير من « مشاهد الحياة الكنسية » الى « مشاهد الحياة البوهيمية » اذا قمنا ببعض تقريبات مرهفة ، فيظهر لنا كأن الحياة الثانية تحريف الحياة الاولى ، وانها تحاكي ، من غير قصد ، « ازدراء الدنيا » ، الذي دعا اليه ، بحسب انموذج (المسيح) ، جميع الروحانيين تلاميذهم . هذه البقعة ذات الاستدارة الكهنوتية تقريباً ، وهذا الوشاح المعقود بصورة ربطة ، قد يكون لهما ولسائر النزوات معنى . وأنها تنم ، بزيها اللاهي ، عن احتقار آخر للعصر ، احتقار للعالم « البرجوازي » و « سدى مواضعاته » ، بحسب تعبير (راموز) الشاب ، واحتقار لحوائه الروحي أجل ان الفنان لا يسلك سلوك « انسان جدي » ، ولكن هل الجديون عقلاء ان الفنان يرتاب في ذلك . ومن الحق أن هؤلاء الجادين يملكون على الدوام ما به يبررون استحسانهم وذوقهم وفعالهم ، ولكننا اذا طلبنا اليهم اعلامنا عن هذه المبررات وجدنا انها لا تنبع من ذواتهم . وان كل ما في كيانهم ليصدر من الخارج ، وهذا ما يجعل الآخرين لا يطيقونهم . كتب (راموز) في الرابع والعشرين من حزيران ١٨٩٧ : « ان تفاهة اعمالهم كلها تباين مباينة شديدة وقار القوى الخفية التي اطيعها ، ولهذه القوى هدف تسعى نحوه بعزم ثابت لا يلين » : فهو مدعو من داخله للخروج من العالم ، يسوقه صوت باطني يريد اطاعته ، أفليس هذا الشاب صنو الروح المطواع امام النعمة التي يدهشها صلف الاضطراب في العالم الخارجي ؟

ان المشابهات لا تقف عند هذا الحد . فالاديب يعرف كل شيء عن ايقاعات الحياة الروحية وتموجات النعمة الاهلية

ولا لديه فترات انقطاع ، او كما يقول القديسون ، فترات جفاف . « هناك اوقات يغيب فيها الفكر ، وتقع الريشة من الاصابع ، وعبثاً ابذل جهدي لاعمل ، لاجتمع بافكاري ، لأسود البياض واعرب عما اظن انه في دماغي » . الالهام يموت ، ومنذ أن تتخلى عنه النعمة على هذا النحو ، يرجع فكر الفنان متأسياً على تلك الساعات النيرة جداً ، اليسيرة ، ساعات خصب عبقريته السعيدة التي تدفعها ريح الروح ، ولكنه يرتد عندئذ نحو هذه القوة التي تدعوه نزواته نفسها لتمثلها على انها كائن مستقل حر ، وبايجاز تمثلها في صورة شخص . كان (سيبليوس) Sibelius يتحدث يوماً عن « ملحمته الغنائية الخامسة » Vo Symphonie ويقول : « عندما يتبع شكل انتاجنا النهائي حتماً قوي اعلى منا ، نستطيع فيما بعد ان نبرر هذا المقطع أو ذاك ، ولكننا بالاجمال نكون مجرد أداة . فلنطلق على هذا المنطق المعجز اسم « الله » ، وهو يسيّر نتاج الفن ، وتلك القدرة هي القدرة الآمرة » . ولما تحدث (راموز) عن ذلك لم يستطع ان يعرب عن فكره اعراباً دقيقاً الا باستعارة لغة الدين : « انني لاأقدر إلا على القليل ، وانا على الاقل احقق القليل مما اقدر عليه . وتلك هي صلاتي كل يوم ؛ انني ابتهل الى المجهول . وان ارادتي عاجزة ، فثمة شيء أقوى يسمو علي ويستطيع كل شيء ؛ وهذا الشيء هو الذي اتوسل اليه ، والى هذا الآله الباطني اتجه » . ولعل من العسير بلوغ وضوح اعظم . أي اسم يطلقه الفنان عليه : الشيء ، « المجهول » او اي اسم آخر ، فانه نفسه يعلم انه يرجوه كما يرجو نوعاً من الآله ؟

وعلى هذا نراه يكتب فيما بعد بلذة نبوءة متحققه في الثامن عشر من نيسان ١٩١٥ : « الفنان والقديس : انسان واحد . التضحية بالذات ، الزهد بالدنيا ، قبول الاذى والحرمان ، احوال نعمة ، التلاميذ ، القاعدة ... موازاة بين هذين التصوفين . الكون بالله . انها ، ان صح القول ، حقيقة جمالية للاناجيل » . كل شيء هنا ، في هذا الموجز العصبي الذي لا نغالي في الاسهاب بشرحه ، ولكن شدة وضوحه تكفي لشرحه بذاته شرحاً جيداً . انه التعبير عن تجربة شخصية لايمكن انكارها .

وتتضاءل قدرتنا على هذا الانكار كلما زاد اتصال هذه التجربة بسواها . وان اقوال (راموز) لتذكرنا بصورة طريقة بكتابة سابقة جاء بها (اوسكار وايلد) OscarWilqe في « الاعماق » De Profunpps : « اذكر انني قلت لـ (اندره جيد) Auqré Gide ذات يوم وكنا نجلس في احد مقاهي (باريز) ، ان شيئاً مما قاله (افلاطون) او (المسيح) لايمكن الا ان يلقى على الفور ترجمته وانجازه الكامل في دائرة الفن وليس من المحال ان يكون (جيد) نفسه قد تذكر هذا القول عندما كتب بدوره في « ألعلك انت ايضاً ...؟ » ?? .. Numqnid et tn ، كتب الصيغة المقتضبة الآتية : « يدهشني ألا يكون أحد قد حاول استخلاص الحقيقة الجمالية للانجيل » . ولا اهمية كبرى في ان يكون ذلك ذكرى ، لان انتقال الصيغة ، لو صح ، من (وايلد) الى (جيد) قد اكسبها دقة . ذلك ان (جيد) لايفكر ، مثل (وايلد) بـ (مسيح) جمالي غامض ، بل يفكر في ذاته وبما تغدو حرية فنية مطلقة يحظى بها الكاتب مثلما حظي تلاميذ المسيح سابقاً بالحرية الانجيلية . وما الذي لا يكتبه ذاك الذي كان في وسعه ان يدع كل شيء في سبيل الفن وحده ويضحي من اجله بأبيه وأمه وأولاده وزوجه؟ لان أقسى ما في الامر ليس ان يضحي المرء بذاته في سبيل الفن ، بل ان يضحي باحبائه ، وهو يشعر شعوراً اعظم بواجبه في ان يضحي بهم فيزداد عطفه عليهم وتتضاءل بذلك قدرته على التضحية . أليست تلك هي مأساة (غوته و (كلافيكو) clavigo التي كتب عنها (جيد) في يومياته بتاريخ الخامس من آب ١٩٣٤ اثر اكتشافه المتأخر لها : « منفعة عظمى جمالية ، نفسية ، اخلاقية ؟ » اجل ، كل هذا بآن واحد ، لان المطلب الجمالي والاخلاقي يمتزجان هنا . وان (كلافيكو) لايضحي بنفسه الا لانه ضحى اولاً

في سبيل الفن بكل ما يحب . وان (جيد) يعرف ذلك : من لا يضحي بكل شيء في سبيل الفن لن يدخل (الملكوت) لا يأخذ معه شيئاً ، ولا يتعلق بشيء ، كيلا يعوقه شيء ، بل يظل مستعداً كل الاستعداد ، مثل القديس ، للشيء الضروري الوحيد : « يا ابزوغ هذه الحال الارتحالية ، ان روحي بأسرها تشتهيك ! » والحق ان مثل هذه الانجيلية الجمالية لاهوت سيء ، ولكن شيئاً لا يجعلنا نلمس مثلها لمس اليد تشابه هاتين التجربتين ، وهما متباينتان في الظاهر وفي الواقع ، تجربة ادباء يخدمون فنهم كما يخدم المسيحي الله .

ومن ناحية اخرى لم تك ثمة حاجة للاصغاء اليهم من اجل الاقتناع ، بل كان يكفي ان ننظر اليهم . و « العالم » على الاقل لا يخدع بذلك . انه يرتكس عند تماسهم ارتكاساً مماثلاً تماماً . انه يعلم حقاً ان المرء « يتخذ من نفسه فناناً » على نفس المنوال حين « يجعل من نفسه راهباً » ، وليس من النادر ان نجد بعض الأسر التي تلقى بقبول واجم الافصاح عن ظهور احدى هاتين الموهبتين . وذلك لا ابتغاء ان تفرض على الشاب مهنة معينة ، ولو كانت مهنة « خلافة الاب في عمله » ، بل الطريف بالاحرى ان الاسرة ترضى بأية مهنة ، شريطة ألا تكون احدى هاتين المهنتين . وسبب ذلك بسيط : « انهما ليستا مهنتين » !

لاشيء اصح من هذا ، هذه المرة : انهما ليستا مهنتين . ولذا ايضاً اذا رضخ فنان الغد امام الحاح من يعيشون حوله ورضي بممارسة مهنة ليحيا منها ، كما يقال ريثما يستطيع التبصر في ذاته ، فانه يشعر بأنه تعيس مثل تعاسة راهب المستقبل ولن يعرف الطمأنينة الا إذا ترك كل شيء اخيراً وانصرف بكيانه كله الى مايحب . لقد درس (راموز) ليعيش ، ولكنه اهمل كل شيء فور أن فهم انه يفسد الاثر المقبل الذى هو سبب حياته ووجوده مادام ليعيش . وكذلك (كوكان Gauguin) الذي ترك كل شيء ليذهب ويموت في جزر (ماركيز) في الهجر والفاقة بعد أن كان مستقراً ومتزوجاً ورب اسرة . ان وقتاً يأتي ، يأتي مبكراً او متأخرا ، فيه يصدح في قلب الفنان صوت سمعه (دانتي) من قبل : هلم الى حياة جديدة ! وعندها ينسلخ من اهاب العجوز ويستجيب لهذه القوة الباطنية التي تستحوذ عليه من غير أن تبرر مطلبها ذاته . ان كل شيء لديه ينزع نحو كمال مزموق ، يشعر بأنه جد قريب ولكنه مازال يأبق منه ، وهو من ناحية اخرى لن يعرفه ، لو استطاع ان يعرفه ، الا عندما ينتهي الاثر ويصبح حاضراً .

ان انساناً لا يتواضع بعمق مثل تواضع الفنان امام فنه ، حتى ولو كان متعجرفاً ازاء الناس . وهو كذلك متواضع تجاه حياته ، لانه يدرك انها تختلف عن حياة غيره ولكنه يتساءل ايضاً بأية نعمة لا يستحقها اتجه اليه النداء واصطفاه من دون الآخرين . وهذا انطباع جد عميق حتى انه حين يجد نفسه بين اولئك الذين تستغرقهم حاجات الحياة الذائعة يشعر بخفر يمنعه من الكلام عن حياته . انه يخفيها كما يخفي القديس حياته التقيه ، تلك الحياة التي لا يصح الحديث عنها الا بين القديسين . كتب (راموز) في العاشر من تشرين الاول ١٩٠٢ : « لم اعتقدني اهلاً لهذه الوظائف السامية جداً . لم اعتبرها ابداً مورد رزق . بل كدت أراها كهنوتاً » . ولكن اي كهنوتي يشعر على الاطلاق بأنه أهل بالكهنوت ؟ غير ان مايمارسه الشاعر هو ضرب من الكهنوت . كتب (راموز) ايضاً : « ان ما يسمونه شعراً هو المعنى المقدس ، الحاجة التي تدعو عند ادراك المقدس الى اشراك الآخرين في كل مايتناوله الشعر من كائنات وأشياء ، أحقرها وأسماها ، لأن المقدس في كل مكان . وليس في مكان وماذا يعني أيضاً سوى ان كل شعر ديني ، وان كل شعر هو ضرب من الدين ؟ » .

ها نحن اولاء قد انتقلنا بقوة الى مستو آخر ، لان التقارب مع الالهي لم يعد يتناول موقف الكاتب ، بل موضوع الفن ذاته . وان العالم الذي يحيا فيه الفنان يختلف عن عالمنا عندما يراه كفنان . فالاشياء تبدو لنا في صورة مشاهد أو في حلة دعوة للعمل من أجل اغراض نفعية هي

في الأغلب بسيطة جداً . أما الفنان فانه يراها على نحو آخر . كل مايدركه يدعوه ، أو قد يدعوه دون قصد منه ، الى ابداع كائنات اكثر حقيقية وأجمل ، ومن ثم ، اكثر اتصافا بالصفة الواقعية مما يرى أو مما يسمع أو يلمس . وقد يقال ان كل شيء حي أو غير حي يتطلع تطلعاً مبهماً الى ان يغدو ما يستطيع فنه ان يجعل منه . لايغدو شيئاً آخر ابداً بل بالاحرى الشيء بذاته ، كما ينبغي له أخيراً أن يوجد كيما ينجز تحقيق ذاته في حاضر تام من الجمال الذى ينطوي عليه والذي تستطيع عين الفنان السحرية وحدها ان تكتشفه . وهو يشعر بأن لهذا الشيء قدرة جمال اعظم مما يملك ، وكأن هذا الشيء يود لو يخلص من نقائصة التي تشينه ليستحيل الى صورة برأتها يد الانسان حيث يكمل الفن اخيراً ماحاولته الطبيعة . وهذا ما يعينه الفنان عندما يحدد ذاته على انه متنبيء الواقع . وعلى هذا النحو يولد عالم الفن الذي كان (شارل كوند) charles Gouud يسميه ملكوت الانسان الذي تعمره كثرة كائنات يجد كل واحد منها ما يبرره نهائياً في لذة تقديم المرئي والمقرؤ او المسموع ، ولا يقدم الى الفكر شيئاً إلا وهو يسهم في منحة .

وبهذا يشبه عالم الفنان ، على مستوى آخر مغاير تماماً مستوى التأمل الذي كان (باسكال) يقول عنه ان كل شيء فيه يخفي سراً ، ولكن بدلاً من ان يخفي (الله) ، انما كل شيء هو اشارة لاشارة ، وهذه الاشارة توجد من قبل بدون ان تكون اشارة تماماً ، وما وظيفة الفن الا تحقيق انجازها . انه عالم قدسي على شاكلتة ، حيث كل كائن اشبه بمنطلق ما سيكون ؛ لو لم يكن له سوى وظيفة واحدة هي وظيفة ان يكون جميلاً .

حكى (افلاطون) و (افلوطين) و (دانتي) و (بترارك) وأحياناً (بودلير) نفسه بلسان كثيرين من الآخرين الذين تشهد آثارهم على اليقين ذاته ، بأن عالم الطبيعة تأتأة يترتب على رسالة الفنان ان تجعلها كلاماً مفهوماً . وكما أن « الواقعي في الواقع » ليس موضوع الاحساس ، بل فكرته ، كما يقول (افلاطون) ، فكذلك ليس الواقع الحقيقي الذي يطلبه الفنان في كل شيء بالواقع الذي يراه بل انه الواقع الذي يصنعه . وان ماندعوه بالشيء الواقعي ليس في نظره إلا صورة لصورة أخرى لما تلد بعد ، ولكنها صورة جد كاملة حتى انها ماتكاد تولد حتى تصبح هي الواقع .

وليس (راموز) بالوحيد الذي حسب انه يضطلع بمهمة كهنوتية . وعبثاً نسعى الى أن نجد لدى (رودان) Rodin ادنى أثر من آثار اللاهوت ، ولكنه على الرغم من ذلك يؤكد « ان الفنانين الحقيقيين هم أكثر الفنانين تديناً » . وبينما لا يعيش سائر الناس إلا بحواسهم ، في عالم يكفيهم منه ظاهره ، فان الفنان يتنبأ بحضور طائفة من القوى الخفية والاشياء اللامرئية التي لا تستبينها بوضوح عيون الجسد ولا عيون الفكر . ويردف قائلاً : ليست الخطوط والفوارق عندنا إلا اشارات على الوقائع الخفية . وان ابصارنا لتنفذ فيما وراء السطوح الى الفكر ، وعندما نعيد تمثيل الاطر بعدئذ . نزيد ثروتها بالمضمون الذي تحتويه» . كيف ندهش من أن كل تحفة تستقي من السر ؟ انها مباهاته ذاتها . أجل انها لا تكشفه إلا بوساطة « تقنية » . ومن شاء أن يمارس النحت بحسب روح (رودان) الدينية ، فان أول ما يجب عليه هو أن يجيد صياغة ذراع ، وجذع ، وفخذ . وعلى الرغم من ذلك ، وبعد قول كل ما يقال ، يظل من الحق « ان الفن ضرب من الدين » .

أي حذر ! ان (رودان) لا ينزلق الى القول بأن الفن دين ، بل انه يفكر في ان من واجب الفنان ازاء هذا الواقع الخفي ان يكشف عن وجوده للآخرين . وبذا يشعر الفنان بأنه قريب من الكاهن . وهذا الواقع الخفي يعرض نفسه عليه على أنه مطلق وهو لايتبع الفنان ، بل الفنان يتبعه . وهذا التعالي الحقيقي ، كيف يحجم الفنان ، وهو متواضع ، عن ان يطلق عليه اسم الله . ان كل شيء ديني في « معابد الفن » التي تضم عدداً كبيراً من هذه الاشياء الطريقة التي لا تفيد ابداً والتي تمثل دلالتها كل دلالتها في ذاتها . وان

الزائر الذي يدفع أجرة الدخول الى هذه المعابد لايلجها الا باحترام. انه ينظر، مثلما يصغي المرء الى عزف جوقة، من غير ان يتوقع من نظره الا متعة، يعرف انها لن تمتنع عليه انه في عالم مقدس حافل بكائنات تزداد عظمتها قدرما انها بكل معنى الكلمة. وان ضرباً من ضروب استحالة الجوهر يتحقق هنا تحققه عندما يتحول الانموذج الى رسم شخص. والفن كالحب يحيل كذباً ما يسميه الناس باسم الواقع.

ان شدة المشابهة تسوق الفنان اذن الى ان يعتبر نفسه ساحراً، بل وبطلاً للحياة الروحية في بعض الأحيان، واذا قلنا كل شيء، ان يعتبر نفسه قديساً بوجه من أوجه الاعتبار ولكن الامر ليس على هـذا النحو ابداً بالرغم من ذلك. وانما الفنان في الحـق شيء آخر مغاير تماماً، لأن عظمته لاتنفصل عن بؤس قد يعاني منه ولو لم يستشف سببه بوضوح. فكمال القديس يجثم في ذاته. وهو كامل على قدر استطاعته ان ينجز عمله. كونوا كاملين: ان الكلام الذي يكرره الروحي لنفسه، يوجهه الفنان الى الاشياء التي يبدعها: كوني كاملة! والفنـان يلقى غايته الخاصة في كمال آثاره لا في كماله الشخصي.

وعلى هذا النحو تنفع شبه القداسة كلها، وينفع تقشف الفنان كله، ينفعان أمراً آخراً غير نفس الفنان. وهو يشعر بذلك شعوراً بيّناً: ان عليه ان ينتج وأن يذيب جسمه، كالام، ليغذي الطفل الذي سيولد منه. يقول (جيد): «انني اتطوع لقبول ألا يكون لي وجود خـاص، اذا وجدت الكائنات التي ابدعها واستخرجها من ذاتي». كل شيء يمثل هنا: ويبدو من الواجب على المرء تماماً أن يختار اما صنع آثاره أو صنع ذاته، بمعنى صنع القديس ذاته. وان حال (اندره جيد) من أفضل الاحوال دلالة. لأنه هو نفسه احتج سلفاً على كل تاويل لآثاره لايتخـذ محوره اعتبار هذه الآثار من زاوية الفن. ولنذهب الى ابعـد من ذلك، فالفن ليس مركز آثاره وحسب، بل مركز حياته ولعل الفن يفسر، وهو حتماً يبرر في نظره ما قد لا يغتفره هو لنفسه لو لم يجد، كما وجد (الاغريق) الذين ينتمي اليهم مابه يبرر اخلاقه وسلوكه. وبعد، ان (كوريدون) يجد في الجمال خلاصة. ولكن علينا ألا ننس ان هذا الجمال ذاته متنوع وكثير. وان الجمال، وهو ضروري في جميع أشكاله التي ينفي كل منهـا سواه، يقتضي من الفنان ألا يكون هو نفسه شكلاً من هذه الاشكال، كيما يستطيع فنه انجاب هذه الاشكال كافة. «انه لا يرسم نفسه، ولكنه قد يغدو ما يرسمه لو لم يكن ما يرسمه قد اصبح ذاته كلها». ماذا يعني أنه قد اصبح «ذاته كلها»، الا الدلالة على الكاتب نفسه، هذا الكائن السيّال الذي تمثل ذاته في أن يضع «كل ذاتـه» بالتعاقب في ابداع كل اثر من آثاره؟ يقول (جيد ايضاً): «لم أعد أعرف من أنا، او اذا شئتنا لست أنا ابداً، بل أنا أصير». وهو يعتز بذلك، لأن «اناه» لاتغدو ذاته ابداً، بل تغدو على الدوام سواه، ان «اناه» صيرورة.

اجل، لا يخلو ضيـاع المرء في انتاجه عظمة. فهو يتمتع بالجمال الاخلاقي لجميع التضحيات، ولكن ذلك يكلفه ثمناً باهظاً. يخاطب الفنان اثره في «حج الفنان في الدنيا»[1] لـ(غوته): انت انا، انت اكثر من أنا؛ انا لـك». ويبقى المبدع ذاته أجوف بعد ان تجري ذاته كلها في الكائن الذي يبدعه ويغذيه ويكلمه. وعندئذ ايضاً يتجلى المعنى الحقيقي للقلـق الذي يخنقه فـيما بين ولادة أثر وتصور أثر جديـد. وما من شيء يسمـح له في فترة عقمـه العابرة بأن يخيب بنفسه رجاء نفسه. انه يرى ذاته فقيراً. ماذا يحدث رغم ذلك لو احتفظ الفنان لنفسه بما يجود به علينا من آثاره؟ ماذا يحدث لو انـه اعتاد على ان يبدع بنفسه لنفسه هذا الجوهر الذي يوزعه على أوسع مدى في اشخاصه؟ لقد أنبأنا بذلك (ريتشار فاغنر) في نجواه التي لا نسرف البتة في تبيان اهميتها: «لو لم امتلك هذه الموهبة الرائعة، هذه القدرة القوية جداً، قدرة النزوان المبدع، لما استطعت ان اتبع معرفة قلـبي النيرة وثبته: انني كنت أمسي قداساً». ان القداسة المحتملة التي تتبدد في تحف فنية لاتغدو قداسة ابداً.

---

(1) Kônstlers ErdeWallen

وليس (فاغنر) بالشخص الوحيد الذي طرح على نفسه هذه المسألة ولا بالذي جاء بحلها على هذا المنوال . انه يشارفها في المجموعة الجميلة من المحاولات التي ألف بينها (فرنسوا موریاك) Francois Maurirc تحت عنوان : «من زاوية بروست » Du octé de chez proust ، ونحن نكاد لا ننتهي من اقتطاف ملاحظات تصيب كل واحده منها كبد المشكله وقد لاحظ ان (بروست) مات من هذا العمل الضخم : « ربما ات بلا آله وربما كان حب الله يصرفه عن ذلك ، كما صرف (باسكال) عن كل غاية انسانية » . وفي مكان آخر نجد هذه الجملة الرهيبة : « هل تتضمن مثل هذه الآثار كفراً بالله؟ » . تلك هي المسألة على وجه الدقة : ألا تتضمن كل تحفة فنية قسطاً من الكفر بالله ؟ ومن الواجب ان نطرح السؤال حتى على « اقتسام الجنوب » بل وعلى « المسلاة الالهية » Parlage bc Mibi . ونحن لانقول بان الامر هو الامر ذاته بالنسبة لكل مايصرفنا عن الله لانه غير ذات الله . وانما توضع هذه المسألة فيما يجاوز تسلية العامة ، لان كتابة (بوسيفال) اشد خطراً من اللعب بالورق او من الاقبال على الرياضيات . ان ابداع الفنان للأثر يستلزم انخراط كيانه بأسره ، يستلزم غياباً عن كل ماهو غير الاثر مما يستطيع ان يشعر به كل واحد منا بدون ان يتسم بالنبوغ . وما تطابق (النعمة) و (الفن) تطابقاً كاملا سوى امر جائز بذاته شأنه شأن كل معجزة ، وهو توفيق يبلغ من الندرة حداً يجعل من غير الحيطة الامل ببلوغه وهذا لايعني ان النعمة مفقودة ، ولا ان الفن مفقود، على الدوام ، بل ان ذاتيها لاتتسقان اتساقاً طيباً ، لان في وسعنا ان نكرر بصدد كل فنان ماقاله (موریاك) عن الاديب : « انه اتخذ من عمله وثناً فالتهمه الوثن » ؟

يكاد لايوجد مخرج آخر ، اللهم الا ان تلتهم النعمة الوثن ، ولكن ماأحوج الفنان الى البطولة ليقبل ذلك ؟ وليست المسألة مسألة شجاعة وحسب . ان من ضحى بادىء الامر بكل شيء في سبيل الفن لن يقبل باشراك الله في الفن كما لم يكن يقبل اشراك الفن مع الله . انه يخشى ذلك ، وان شيئاً في ذاته يعرفه : فاذا تكلمنا لغة المطلق وجدنا ان الفنان يكف عن ان يظل فناناً اذا ما غدا قديساً . كان (جاك ريفير) Jacques Rivière يقول : «يالهي جنبني فتنة القداسة . انها ليست من شأني» والواقع ان شأنه كان في ان يكون اديباً . والله فتنة ضد الفن كما ان الفن فتنة ضد الله لذا وجد فريق من الفنانين ، من غير التافهين أبداً ، ان نهاية الفن في اتصافه بانه لاينتهي ، فتجاوزوا هذه النهاية بحزم . وقد انتهت حياتهم بالصمت . ويقول دارسو سيرة حياتهم ان الفن ، بدء من هذه اللحظة ، ينتهي . ربما ، ولكن حيث ينتهي الفنان ، يتفق ان يبدأ الرجل . لم يغفر (فاليري) Valéry لـ (باسكال) أبداً احجامه النهائي الذي بدا له بمثابة خيانه ، ولكن ألا تدين آثار (باسكال) بقيمتها لما كان يستلزم فيها ذلك الاحجام ؟ ان انبل ما في الفن يسهم بلا ريب في ما وراء الفن ، ومن يقول ان كمال (فاليري) وهو كمال يفتقر بالم الى كل عظمة روحية ، ليس على وجه الدقة كمالاً لايدعوه شيء ما الى تجاوز ذاته محبوس تماماً في دائرة الفن المحضة ؟ عندما شاخ (بوناروتي) Buonarotti حطم تماثيله أحياناً . لم يعد في وسع الفن أن يرضيه : كان يطلب اللانهائي . وقد اعلن : « لم يعد في وسع الرسم ولا النحت ان يسحرا روحي المنصرفة شطر هذا الحب الالهي الذي فتح ذراعيه على الصليب ليلقانا » . وقد أضاف (رودان) نفسه الى ذلك ، بعد ان نسب اليه ذلك القول ؛

البقية في العدد القادم

القـــــــبر

للكاتب الفرنسي : غي دروموباسان

ترجمة : جورج سالم

في السابع عشر من شهر تموز سنة ثلاث وتسعين وثماني مئة والف ، في الساعة الثانية صباحاً ، استيقظ حارس مقبرة (بيزيه) الذي كان يسكن في شقة صغيرة على تخوم حقل الموتى ، على صوت نباح كلبه المربوط في المطبخ .

وسرعان مانزل فرأى الكلب يشم أسفل الباب وهو ينبح نباحاً غاضباً كأن مشرداً من المشردين قد حام حول المنزل . عند ذاك تنكب الحارس فنسان بندقيته وخرج حذراً .

مضى الكلب يعدو في المقبرة ، في ممر القائد بوفه ، وتوقف متصلباً قرب نصب السيدة (توموزو) .

ولم يلبث الحارس أن لمح ، وهو يتقدم بحذر ، ضوءاً ضعيفاً ينبعث من جهة ممر (مالنفير) فمرق بين القبور وشاهد عملية انتهاك مفزعة لحرمة القبر .

كان ثمة رجل قد اخرج جثة امرأة شابة دفنت امس وراح يجرها خارج القبر .

وكان مصباح صغير لايكاد يرى موضوع على كومة من التراب ، يضيء هذا المشهد الكريه .

رمى الحارس فنسان بنفسه على هذا البائس ، وقيد يديه ، واقتاده الى مركز الشرطة .

كان ذاك محامياً شاباً في البلدة ، غنياً ، حسن الشكل يدعى كورباتاي .

قدم هذا للمحاكمة ، فأعاد المدعي العام الى اذهان أعضاء المحكمة الاعمال الوحشية التي قام بها ذات يوم الملازم برتران ، ثم رفعت الجلسة .

اجتاحت الجمهور قشعريرة من الغيظ ، وحين جلس القاضي انفجرت صرخات تقول : « الاعدام ! الاعدام ! » وعانى رئيس المحكمة كثيراً من العناء في فرض الصمت .

ثم قال بلهجة رزينة :

« هل لك ماتقوله في الدفاع عن نفسك ، ايها المتهم ؟ »

نهض كورباتاي الذي لم يشأ أن يتخذ مظهر المحامي . كان شاباً جميلا ، ضخم الجسم ، أسمر اللون ، ذا وجه منبسط وقسمات عصبية ، ونظرة جريئة .

وانطلق الصفير من الجمهور .

فلم يضطرب هذا ، بل راح يتكلم بصوت يكاد يكون خفياً ، بدا خافتاً أول الامر ، ثم قوي رويداً رويداً ، قال :

« سيدي الرئيس ،

« سادتي المحلفين ،

« ليس لدي شيء كثير أقوله لكم ، فالمرأة التي انتهكت حرمة قبرها كانت عشيقتي ، وكنت احبها .

« كنت احبها لاحباً حسياً ، ولا مجرداً نابعاً من حنان

النفس أو القلب ، بل حباً مطلقاً ، كاملاً : وهوى عنيفـاً .

« اصغوا الي :

« حين التقيت بها للمرة الاولى ، أحسست إذ رأيتها بشعور غريب ، لم يكن هذا الشعور نوعاً من الدهشة أو الاعجاب ، ولم يكن مايدعوه الناس بالحب الصاعق المفاجيء بل كان شعوراً قوامه الهناء العذب ، كما لو اني غمست في حمام فاتر ، كانت حركاتها تفتنني ، وصوتها يبهجني ، والنظر الى كيانها كله يبعث في سروراً لاحد له . كان يخيل الي كذلك أنني اعرفها منذ زمن بعيد وأنه سبق لي أن رأيتها . كانت تحمل في ذاتها شيئاً ما من روحي .

« لقد بدت لي كأنها جواب عن نداء القته نفسي ، عن ذاك النداء الغامض الذي نقذفه ، طوال حياتنا نحو الامل .

« حين عرفتها معرفة أعمق . كان مجرد التفكير بأن أراها مرة أخرى يثير في اضطراباً بالغاً وعميقاً ؟ كان تماس يدي بيدها أمراً عذباً حتى اني لم اتخيل قط مثيلا له من قبل كانت ابتسامتها تسكب في عيني فرحة حمقاء ، وتجعلـني أشتهي أن اجري لكي ارقص واتقلب على الارض .

« وهكذا غدت عشيقة لي .

« بل غدت اكثر من هذا ، لقد غدت حياتي نفسها .

لم أعد انتظر اي شيء من الحياة ، ولم أعد أرغب في أي شيء البتة ، ولم اعد اتمنى شيئاً .

« الا أننا بينما كنا نقوم بنزهة بعيدة على ضفاف النهر فاجأتنا الامطار وأصابها البرد .

« وظهرت عليها ، في اليوم الثاني ، أعراض ذات الرئة ، ثم توفيت بعد ثمانية ايام .

« خلال ساعات احتضارها منعتني الدهشة والفزع من أن أحسن الفهم والتفكير .

« أما حين ماتت فان اليأس القاسي قد دوخني حتى انه لم يعد لدي من فكرة ، فرحت أبكي .

« وخلال كل مراحـل الدفن الرهيبة ، كان املي الحـاد العفيف مايزال ألم انسان احمق ، ونوعاً من الالم الحسي الجسدي .

« وبعد أن توارت واختفت في طيات الثرى ، عاد ذهني فازداد صفاؤه فجـأة ، وانتقلت من ثم الى ألم نفسي مخيف جداً حتى أن الحب نفسه الذي منحتني اياه كان غالياً لقاء هذا الثمن .

« آنذاك برزت في خاطري هذه الفكرة الثابتة .

« فأنا لن ألقاها من بعد أبداً .

« وحين يفكر المرء في هذا خلال يوم كامل يستولي عليه الجنون ! فكروا في هذا ! ان هنا لكائناً ، كائناً تحبه كائناً فريداً ، اذ ليس له من نظير يشبهه في ارجاء الارض كافة . ثم انك اعطيت هذا الكائن ، فأنشأ معك هـذا الرباط السري الذي نسميه الحب . ان نظرته تبدو لك اوسع على المدى واكثر سحراً من العالم ، نظرتـه الوضاءة حيث تبتسم العذوبة ، وهذا الكائن يحبك ، وحين يخاطبك فان صوته يسكب في نفسك موجة من السعادة .

« وفجأة يختفي ! فكروا في هـذا ! وهو لا يختفي بالنسبة اليك وحسب ، بل يختفي الى الابـد . لقد مات تفهمون معنى هذه الكلمة ؟ الى الابد ، الى الابد . ولن يوجد هذا الكائن في اي مكان . لن تنظر هذه العين شيئاً أبداً لدهر ، وهذا الصوت ، لن يكون له مثيل أبد الدهر بين الاصوات البشرية جميعاً ، ولن يلفظ صوت ما الكلمات بالطريقة نفسها التي كان يلفظها بها .

« لن يولد وجه شبيه بوجهه أبد الدهر ، أبداً ، أبد ان الناس يحتفظون بقوالب التماثيل ، ويحافظون على الاجزا التي تسعيد تشكيل الاشياء بالشكل نفسه ذي الالوان نفسها بيد ان هذا الجسم وذاك الوجه لن يعود الى الظهـور على

سطح الارض أبداً . ومع ذلك فان آلافاً من النـــاس سيولدون ، بل ملايين ومليارات بل اكثر ، وبـين كل النساء اللواتي سيولدن في المستقبل لن تظهر هذه أبداً . أهذا ممكن ؟ ان المرء ليجن حين يفكر في ذلك .

لقد عاشت عشرين عاماً لا أكـثر ، واختفت الى الابد ، الى الابد ، الى الابد .

« كانت تفكر وتبتسم وتحبني ، ولم يعد هناك شيء من هذا كله . ان الذباب الذي يموت في الخريف ليعادل عددنا في الخليقة ، وليس هناك شيء منه . وفكرت في ان جسمها ، جسمها الغض الحار ، ببالغ عذوبته وبياضه وجماله سيفسد في اعماق صندوق تحت الارض ، أما روحها وفكرها فأين هما ؟

« لن أراها بعد الآن ! لن أراها بعد الآن ! وسيطرت علي فكرة هذا الجسد المتفسخ ، وربما كان في استطاعتي أن أراه مرة اخرى مع ذلك . ورغبت في أن أراه مرة ثانية !

« فمضيت ومعي رفش ومصباح ومطرقة . ثم قفزت على سور المقبرة وعثرت على حفرة قبرها ، فلم يكن قـد سد سداً محكماً .

« كشفت التابوت ورفعت أحد الواحـــه الخشبية فصعدت الى انفي رائحة كريهة ونفثة العفن الشنيعة على سريرها المعطر بأريج السوسن .

« وفتحت اثناء ذلك التابوت وادخلت فيه المصبـــاح المضاء ورأيتها . كان وجههـــا أزرق متورماً مفزعاً ، وانسكب من فمها سائل اسود .

« تلك كانت اذن ! وسيطر علي الفزع . بيد انـني مددت ذراعي وامسكت شعرها كي ارفع هذا الوجه المخيف !

« وآنذاك أوقفني »

« ولقد احتفظت طوال الليل برائحة هذا النتن الكريه برائحة حبيبتي ، كما يحتفظ الانسان بعطر المرأة بعـــد عناق الغرام !

« لـكم أن تفعلوا بي ماتشاؤون . »

وران على القاعة صمت غريب . وبـدا الناس كأنهم يتوقعون شيئاً آخر . وانسحب المحلفون كي يتشاوروا .

وحين عادوا بعد بضع دقائق كان المتهم يبدو دون خوف بل دون أفكار أيضاً .

أعلن رئيس المحكمة وفق الصيغ المعروفه أن قضاته قد أعلنوا براءته :

فلم تبد منه أية حركة ، وصفق الجمهور .



سارتر في الستين

بقلم : محمد اديب السلاوي

في الحادي والعشرين من شهر يونيه القادم سيحتفل العالم مع الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر بعيد ميلاده الستين وسيكون بذلك قد وقف سارتر على قمة الصخرة النسبية بعد ما وقف عليها في اطار مذهبه الانساني . . ولا شك ان العالم سيراجع مع فيلسوفنا ماحققه طوال هذه السنوات من انتصارات لفائدة فلسفته ، ولفائدة أنصارها في غرب الارض وشرقها .

ان سارتر قد بشر منذ اربعين سنة في عزم قوي بفلسفة صاغها نتيجة الازمة الانسانية التي يعيشها انسان القرن العشرين ، ودافع في جرأة متناهية عن قضايا الحرية في العالم ، كما قطع خطى بعيدة المدى في نشر الايمان بالوجودية .

ولقد كان اقوى ماانطلق منه جان بول سارتر في كفاحه المرير بيانه البليغ الذي نشره بعد انتهاء الحرب العظمى والمسمى (جمهورية الصمت) والذي حلل فيه موقفه الذي اختاره للمستقبل بعد ما ودع زملاءه في الحركة الوطنية الفرنسية ، وهو موقف يعتمد اساسا على الحرية ، وعلى المعرفة العميقة ، والكد ، والصبر من اجل القضايا الانسانية .

اما انعكاس كفاح سارتر خلال السنوات الاربعين التي احترف فيها الادب والفلسفة فهو مجمل كتاباته في مجالات الميتافزيقيا والاخلاق والسير والجمال بالاضافة الى قصصه ، ورواياته ، ومسرحياته الكثيرة التي اصبحت في السنوات الاخيرة تحتل اسواق الكتب في العالم .

من قبل عشر سنوات احتفل العالم مع سارتر في عيد ميلاده الخمسين ، ولكنه لم يرحمه من موجات النقد ، العنيفة وخاصة منه العالم الماركس ، والكاثوليكي على الخصوص ..

فالشيوعيون ، قد احتفلوا مع سارتر ، وقدروا شجاعته في المضي في طريق شائك اسمه الوجودية طوال سنوات غارقة في القلق ، وفي السأم ، والخوف على مصير الانسانية ولكنهم اتهموا وجوديته ، بانها الفلسفة التي تدعو الى اليأس والهدوء ، لانها فلسفة تنظر الى العمل وكذا الى الحلول امراً مستحيلا ، كما اتهموها بانها فلسفة تأملية وبذلك تكون فلسفة برجوازية لان التأمل ضرب من الترف .

ورجال الكنيسة الكاثوليكية ، احتفلوا مع سارتر في اعياده ، وقرأوا معه كتبه ، وقصصه ، وتحليلاته ومسرحياته ولكنهم رجموه في النهاية ، لأنه اصر على انحطاط الانسان ، وعلى عدم وجود الله ، ويسيد في كل مكان بالخيس والغامض والمبهم ، ويهمل الجانب الجليل المشرق من طبيعة البشر ، وينبذ من جهة اخرى وصايا الله والحقائق الابدية .

ولقد كان سارتر طوال السنوات التي احترف فيها الفلسفة ماضياً في طريقه غير ملتفت الى موجات النقد العنيفة الفائزة عليه من الشيوعيين ، والمسيحيين والمتطرفين اليمينيين وغيرهم ، لكنه في العشر سنوات الاخيرة راجع ملف النقد الموجه الى فلسفته كاملا ، ورد عنها كل التهم ، وقد ادهش بذلك الكثير بما ساقه من الحجج التي جعلت من الوجودية مذهبا انسانياً يعتمد على الذاتية ، ويتضمن الموقف الحر من اجل الآخرين ، الا ان رده على تهم الشيوعيين والمسيحيين المتطرفين لم يمنعه من الاعتراف بأن وجوديته ملحدة وتنكر وجود القدر ، وانها تؤمن بالدرجة الاولى بوجود كائن هو الحقيقة البشرية ، وهو في هذا يستند على وجودية هيدجر

ويحلل ذلك سارتر قائلاً : ان هذا المذهب في الواقع أقل المذاهب عيباً ، واشدها صرامة ، وهو موجه الى المختصين والفلاسفة ، ومع ذلك فمن اليسير ان نعرفه ، غيران مايعقد الامور هو ان هنالك نوعين من الوجودية اولهما اولئك المسيحيون ، ومنهم « ياسبرز » و « جبريل مارسيل » وكلاهما كاثوليكي ، وهناك ثانياً الوجوديون الملحدون ، ومنهم هيدجر والوجوديون الفرنسيون وشخص » .

الا ان الملاحظ هو ان كلتا الفلسفتين يشتركان في نقطة الانطلاق الاساسية ، وهي انهما يعتقد ان معاً ان الوجود سبق الماهية او ان شئت كما يؤكد ذلك سارتر ان « الذاتية لابد ان تكون نقطة البداية . . .

لقد برزت الوجودية على يد سارتر عندما اخذت الفلسفة بصفة عامة تتدهور تدهوراً مستمراً ، وعندما اخذت المثالية الالمانية تتعرض لهجومات عنيفة تمثل مدارس واتجاهات مختلفة وبروز الوجودية الحديثة على يد سارتر في القرن العشرين ، جاء نتيجة القلق الذي سيطر من العالم ، وازاء الازمة التي واجهتها البشرية خلال الحربين الاولى والثانية والتي امتدت الى بذور الوجود البشري ولقد كانت بدورها مقرونه بالضيق والخذلان واليأس الشيء الذي جعل سارتر يقرر من البداية ان (الضيق) هو الانسان نفسه ، لانه هو الذي يدرك على كل الابعاد الطبيعية والميتافيزيقية انه ليس الشخص الذي اختار ان يكون (الضيق) فحسب ، وانما هو الضيق نفسه ، لأنه هو الواضع لقانون نفسه .

فالانسان في نظر سارتر هو الذي عليه ان يختار المصير والمستقبل لأنه ليست هنالك حتمية في نظره فالانسان حر .

وهذه هي الفكرة التي اشتغل بها سارتر خلال السنوات العشر الاخيرة ، والتي حاول التعبير عنها حينما قال : « ان الانسان قد حكم عليه بالحرية لأنه لم يخلق نفسه « ومع ذلك فالانسان حر من نواح كثيرة لأنه – يقول سارتر – بمجرد إلقائه في هذا العالم مسؤول عن كل عمل ، وعن كل حركة يقوم بها .

اذن ، فالحرية هي اساس الفلسفة التي تزعمها ، وحمل اعباءها جان بول سارتر طوال نصف قرن تقريباً ، والتي جاءت نتيجة الازمة البشرية التي اجتازتها الحضارة الحديثة وسارتر طوال هذه السنوات التي احترف فيها الفلسفة قد نادى بأعلى صوته ان على الانسان الذي صنع هذه الحضارة ، والذي صنع الازمات بمخترعاته الحربية ، والذي وقف وجها لوجه ضد السلم عليه ان يختار غده بنفسه .

والواقع ان الامور في هذا العالم سوف تقع كما يقرر لها الانسان ان تقع ، وليس معنى هذا الاستسلام للسكون ، بل ان الواجب يحتم عليه ان يقحم نفسه ، وان يعمل طبقاً للناموس القديم فلا كسب بغير مغامرة .

وعلى اثر هذا يؤكد سارتر ان مذهبه الوجودي يتنافى تماماً ويتناقض مع السكون ، والدعة والراحة ، فالوجوديه السارترية تقول « ليست هناك حقيقة الا في العمل « ولا وجود للانسان الا بقدر مايحقق ذاته .

من هنا يتبين لنا ، ان الوجودية تساوي في القاعدة وفي القمة – الحرية ، والعمل - والباقي لاشأن لها فيه ، فاذا تحققت الحرية ، وتحقق العمل للانسان ، يكون هذا قد انتصر على الطبيعة وعلى القدر ، وعلى العالم ، وعلى القوة التي صنعها وبات يخاف منها .

وما دامت الوجودية السارترية تعتمد اساساً على هاتين القاعدتين - الحرية والعمل – فهي وجودية انسانية .

ورجال الدين في العالم اذ يعترفون بهذا ، فانهم يتشككون في ايمان سارتر ، لأنه لاانسانية بدون الله ، وفي هذه النقطة رد عليهم سارتر غير ما مرة في السنوات الخمس الاخيرة قائلا بان الوجودية لم تبلغ بعد حداً من الالحاد يقضي على انسانيتها ، وانما هي تعلن ان الله اذا كان موجوداً فان ذلك سوف لايغير من امر هذا العالم شيئاً ، والوجودية بهذا المعنى متفائلة ، فهي مذهب عمل ، ومذهب حرية ، ومذهب ايمان بقدرة الانسان .

على اثر ذلك ، لنا ان نتفاءل جميعاً ، لسارتر ، انه وصل الستين ، ومن المنتظر ان يدخل هذا الفيلسوف الذي هزت ابحاثه ومواقفه الرأي العام العالمي في مرحلة جديدة من حياته وربما تكون هذه المرحلة هي المرحلة الدينية للوجودية السارترية

طريق آخر

قصة بقلم : وليد قصاب

منذ ان فتحت عينيها على الوجود ، وبدأت تدرك ما حولها بنظرة فاحصة متعمقة احست انها مشوهة وان هنالك شيئاً ينقصها كي تكون مثل الاخرين . وشبت وفي نفسها هذه العقدة . . عقدة الشعور بالتشويه ، والاحساس بالنقص ، وكانت كلما نظرت الى المرآة وطالعت قسمات وجهها في صفحتها ازداد في نفسها هذا الشعور ، وتفاقم احساسها بالنقص حتى ليخيل اليها احياناً انها غير جديرة بالحياة وان هذا الشيء الذي ينقصها يجعلها غير قادرة على مجاراة الآخرين ، والسير في طريقهم ، والنهج على منوالهم ..

ولم يكن يهمها فقط ان تماشي الآخرين ، وتعيش في دنياهم الحالمة اللذيذة ، وانما كذلك كان يشغل بالها ولا يفتأ دائماً يلح على افكارها كلما خلت الى نفسها ، وغرقت مع خواطرها ، أو كلما امسكت مرآتها وراحت تمعن في تأمل شيء آخر هو الرجل ، اجل الرجل ، الرجل الذي يمكن ان يفكر بها حينما يرى نقصها ، وتصافح نظراته الى وجهها هذا التشويه الكبير الذي يطغى على جمالها ، ويمحو بريق الجاذبية والسحر اللذين يطلان من وجهها .

كم تمنت لو أن تشويهها هذا كان في مكان محجوب عن الانظار ، اذن لهان الامر ولوجدت كثيرين من الرجال يحدقون اليها في شغف وهم يكادون ان يلتهموها بنظراتهم الفاحصة ، ، كما يحدقون الى زميلاتها والى كل انثى جميلة تعرفها . أما وهذا التشويه ظاهر للعيان ظهور الشمس في كبد السماء ، يطالعك فور أن تراها ، فهو الذي يبعدها عن دنيا الرجل والناس ، ويقذف بها بعيداً عن نظرات اعجابهم وشغفهم ، وينأى بها عن محيط تفكيرهم .

ولكم مرة حاولت أن تتودد اليهم ، وان تلقي بنفسها في طريقهم ، ولكنها كانت في كل مرة تقابل بنظرات النفور والاشمئزاز ، وتقذف بعيداً عن طريقهم وكأنها حشرة مسمومة يخشون سمها الناقع .

وكثيراً ماسمعتهم يحذرون بعضهم منها :

– ابتعد عنها . . .

– لماذا ؟ . .

– لعلك لم ترها في بادىء الامر . . ولكن لك الحق ، لانها تضع على عينيها نظرات ملونة لتخفي تحتها تلك الحلقة من الظلام المخيف . . .

وترن في اعماقها هذه الكلمات ، وتحس بوقعها في نفسها كأنها سياط الحوذى ، وتسرع الى المرآة ، فتنزع نظارتها الملونة عن عينيها ، وتمضي في تأمل قسمات وجهها . ثم سرعان ماتركز نظرات عينها الواحدة على حلقة الظلام المخيفة التي تغطي مكان عينها الثانية الناقصة ، فتنتفض مذعورة وكأنها ترى نقصها للمرة الاولى ، وتقذف من فيها بنبرات حادة حاقدة لعنات وشتائم على القدر ، وعلى الايام ، التي اختارتها لتلقي بالتشويه المريع في وجهها .

كانت تيأس احياناً من العثور على الرجل الذي يرضى بها أن تشاركه في دنياه ، ويخيل اليها انها ستظل مهجورة في ركن قصي من بيت اهلها بعيدة عن المجتمع ، محجوبة عن الناس حتى لاتثير في نفوسهم شعور الاشمئزاز والنفور .

ولكنها كانت ماتلبث أن تشحذ همتها ، وتعمل جهدها ويثوب اليها تصميمها في العثور على الرجل الذي يرضاها شريكة في دنياه .

. . وفجأة وقد كادت أعصابها أن تخور ، وتصميمها أن يتلاش ويتبدد ويقبع في طي العدم والنسيان ، برز الرجل الى الوجود ، وأضاء في سماء حياتها كما تضيء الشمس بأشعتها ظلام الكون . ولكنه لم يكن الرجل الذي يقبلها

في دنياه ، لأن في دنياه من يشاركه فيها ، ان له زوجة ، وعلى هذا فهي لا يمكن أن تكون له زوجة ، بالرغم من انها قد اثارت اهتمامه أو رثاءه ليست تدري بالضبط ، ولا يهمها كثيراً أن تدري ، الذي يهمها أن هذا الرجل وحده من دون كل الآخرين قد نظر اليها بعين لم ينظر اليها أحد بها من قبل ، عين فيها عطف ، وفيها حنان ، وفيها قابلية المشاركة في آلامها وحرمانها ، ولكن لم يكن هو الرجل الذي رسمته .

ومرة ثانية ، وفجأة كذلك ، برز رجل آن الى حياتها كان مستعداً أن يشاركها حياتها ، وأن يدخلها في دنيا ايامه ولكن بطريقة لم تخطر لها على بال ، طريقة مخجلة مخزية ما اعتادت أن تفكر بها رغم انها ناقصة عن الآخرين ولربما كان يخيل الى البعض أنه ليس يحق لها أن يكون تفكيرها كتفكيرهم :

– ما رأيك أن تكوني لي عشيقة ؟ . .

هكذا كان يريدها الرجل الثاني ، عشيقة مجرد لعبة يلهو بها ثم يقذف بها حيث يشاء ووقت يشاء . .

طردته من حياتها ، وكادت تقبع في زاوية البيت شاعرة بعجزها عن الاختلاط بالناس ، والمشاركة في حيواتهم .

ولكن رجلا ثالثاً ، يطل ايضاً في أفق حياتها ، هكذا بلا مقدمات ، وبلا انتظار ، لم تك تفكر فيه كما كانت تفكر من قبل حينما القت الاقدار في طريقها ذينك الرجلين . ولكن هذا يختلف عن الآخرين ، انه نوع لم يخطر لها على بال يوماً ، نوع ما فكرت قط أنه قد يكون قادراً على اخراجها من عزلتها ، ودفعها الى مجتمع الناس ، وجعل الناس يتدافعون الى مجتمعها ودنياها الخاصة . . .

كان مثلها مشوها ، ينقصه شيء ليكون مثل الآخرين ولعل هذا هو ما جعله يحس بها ، ويفتح قلبه لانقاذها .

انه احدب اصم ، هكذا خلق ، وهكذا ارادت له الايام ان يحيى ، وكان مثلها باديء الامر يائساً حاقداً على القدر وعلى الناس ، وكان ايضاً مثلها يبحث عن الانثى التي تشاركه دنياه ، وترضى ان تعيش الى جانب احدب اصم ، ولما لم يجد أحدا ، لم ييأس ، ولم يحاول أن يقبع في زاوية بيته كما كادت هي أن تفعل ، بل شرع يخط لنفسه سبيلا جديداً طفق يرسم لايامه طريقاً آخر يدفع بالناس الى حياته ، ويدفعه الى حياة الناس بلا اشمئزاز وبلا خوف او قرف . .

ازمع الرجل ان يكون عظيما ، واحد ممن ينظر الناس باجلال وتقدير اليهم ، فلعله يحظى من هنا باعجابهم لعله يجد عن هذه الطريق تلك المرأة التي ترضى أن تشاركه دنياها دنياه ، أو على الاقل أن تشاركه في دنياه من أجل نجاحه وعظمته . .

وكان هذا ، وما لبثت أن لمع اسمه في الاوساط كأنه شهاب ، وما عتم هذا الرجل المشوه الذي كان ينفر منه والذي كان يعيش طي العدم واليأس أن سطع نجمه كما تستطع الشمس في رابعة النهار ، وبرق اسمه في مجتمعاتهم ، فصار واحداً لا يختلف عنهم ، ولا ينقصه شيء ليكون ندا وصنوا لهم ، فاذا كانت الاقدار قد جعلت منه أحدب اصم ، فكذلك قد حبته بعبقرية فذة لم تحب الناس : مثيلا لها .

– كوني مثلي ، خطي لنفسك ماخططت من سبيل ، حاولي ان تندفعي الى الناس معززة مكرمة عن طريق كهذه فكل انسان تستلب منه الاقدار شيئاً من حواسه ، لابد أن تحبوه بحاسة أخرى بديلة ، لابد أن يكون له ما يعوضه عن هذه الحاسه الناقصة . .

أنت لك عين واحدة ، الاقدار حرمتك من العين الثانية ، فجعلت منك مشوهة ناقصة بين الناس ، ولكن حاولي أن تثبتي للناس ان الاقدار قد اعطتك حاسة اخرى تميزك بها ، لتكوني كالناس ، تشتركين في دنياهم ، وتمضين معهم في نفس الطريق .

هكذا قال لها هذا الرجل ، بهذه الكلمات انار لها السبيل ، واضاء امامها طريق المستقبل ، فمضت فيه ، وشقت طريقها وسط زحامه وصخبه وضجيجه رغما عن انوف الناس حتى تسنى لها أن تنتزع اعجابهم ، وتثير في نفوسهم شعور التقدير والاحترام والاجلال ، وحتى احست بايديهم ترتفع الى رأسها لتكلله باكاليل النصر والغار وحتى سمعت اصواتهم الناصحة تهتف في فرح وفخار :

– اقترب منها ، انها انسانة عظيمة ، ان في داخل هذا الرأس الصغير لكتلة متقدة من الذكاء والعبقرية الفذة . .

عندئذ فقط انتشت ، وكادت ترقص سروراً ، انها لم تعد وحيدة في دنياها ، لم تعد قابعة داخل جدران أربعة تلتمس من الناس أن يرضوا بها شريكة في مجتمعاتهم .

الشاعرات العربيات

بقلم : محسن غانم

العرب أمة شاعرة ، فالشعر ديوان العرب ، وقد وصلنا فيض زاخر من الشعر العربي على مختلف عصوره ، لشعراء وشواعر ، غير أن نصيب الرجال جاء أوفر حظاً . ولا يعني هذا قلة ما وصلنا من شعر النساء ، وانما هو قليل اذا ما قيس بشعر الرجال ، وخاصة ما يرجع منه الى العصر الجاهلي .

ويرد الدكتور أحمد محمد الحوفي ذلك الى اسباب عديدة أهمها :

(١) حرص الرواة على الغريب ، والغريب في شعرهن قليل :

(٢) خروجهن على نظام القصيدة ، في عصر كان هذا الخروج عيباً لا يغتفر .

(٣) عدم ذكر الحروب في شعرهن .

وقد نظمت الشواعر في مختلف الاغراض فاجدن في الرثاء ولهن غزل ومديح وفخر وهجاء لا يرقى الى مستوى ما ترك الرجال . وقصرن في الحماسة والحكمة والوصف.

اجدن فن الرثاء :

وعندما ترثي المرأة زوجاً او ابناً أو أخاً ، انما تعبر عن عاطفة صادقة تعتلج في صدرها فلا تخرج عن وصف حزنها الصادق والمها للمصاب . والبكاء والحزن من اخلاق المرأة والتوجع من شيمها وعاداتها .

وهن جميعاً يذكرن مزايا المرثي ويعددن فعاله من شجاعة وكرم ونجدة ووفرة عدد وصبر على الشدائد ويصورن لوعتهن وعظيم مصابهن . بهذا رثت الخنساء أخويها صخراً ومعاوية وزوجها مرداس بن ابي عامر السلمي ، وبكت دختنوس اباها لقيط بن زراره ، وزوجها عمير بن معبد بن زراره ، خرنق زوجها وابناءها وآلها ، وندبت هند بنت عتبة اباها واخاها وعمها ، واخبار ليلى الاخيلية في رثاء توبة « مشهورة » .

فهذه الخنساء تقول في صخر أخيها :

دق عظمي وهاض مني جناحي
هلك صخر فما اطيق براحا

وتقول :

قذى بعينيك أم بالعين عوار
أم اقفرت اذ خلت من أهلها الدار

وتقول :

فيالهفي عليه ولهف امي
ايصبح في الضريح وفيه يمسي

ومثل هذه الأبيات كثير في شعر الخنساء مما جعل رثاءها في القمة حتى ان النابغة الذبياني قال لها في عكاظ « انت والله اشعر من كل ذات مثانة » .

وذكر ثعلب فيما اسماه الابيات الغربيت الخنساء .

وان صخراً لتأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نار

وقالت ليلي الاخيلية ترثي توبة :

فتى كان أحيا من فتاة حيية
واشجع من ليث بخفان خادر

وقالت :

اقسمت ارثي بعد توبة هالكا
وأحفل من دارت عليه الدوائر

وينقل صاحب الاغاني أن معاوية قال لليلى : ويحك ياليلى ، اكما يقول الناس كان ؟..

قالت : ليس كل ما يقول الناس ، ولقد كان سبط

لبنان ، حديد اللسان ، شجا الاقران كريم المخبر ، عفيف المئزر ، جميل المنظر . فقال لها معاوية : ويحك يزعم الناس انه كان عاهراً خاربا فقالت من ساعتها :

معاذ الهي كان والله سيدا   جوادا على العلات جما نوافله
عفيفا بعيد الهم صلبا قناته   جميلا محياه ، قليلا غوائله
يبيت قريرالعين من بات جاره   ويضحي بخير ضيفه ومنازله

غزلهن :

قال الجاحظ في المحاسن والاضداد : « والمرأة تحب اربعين سنة وتقوى على كتمان ذلك ، وتبغض يوما واحداً فيظهر ذلك بوجهها ولسانها ، والرجل يبغض اربعين سنة فيقوى على كتمان ذلك ، وان احب يوما واحدا شهدت به جوارحه » .

وهكذا كانت العربية في صدر الاسلام والجاهلية ، تكتم حبها ترفعا واباء مخافة ان تتهم بما لا يليق بالانثى ، أو أن يشمت بها ، او تطعن في شرفها . والرجال ما كانوا يحبون المتهالكة وانما يغرمون بالصعبة المنال الممتنعة على الرجال .

ووصلتنا اشعار جاهلية ترينا ما كانت تلاقيه المرأة من نكال اذا ما أحبت أو تغزلت وفي هذا تقول واحدة منهن :

فان تضربوا ظهري وبطني كلاهما
فليس لقلب بين جنبي ضارب

وتقول اخرى :

فقد شف جسمي بعد طول تجلدي
احاديث من عيسى تشيب النواصيا
سأرعى لعيسى الود ماهبت الصبا
وان قطعوا في ذلك عمدا لسانيا

وهذه اخرى تفضل رجاها على ابيها :

واقسم لو خيرت بين لقائه   وبين ابي لاخترت ان لا أباليا

وقالت ليلى العامرية صاحبة قيس بن الملوح المجنون :

لم يكن المجنون في حالة   الا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى   وانني قد ذبت كتمانا

وتغزلت علية بنت المهدي فذكرت السهر والعذال وألم الغرام :

نام عذالي ولم أنم   واشتفى الواشون من سقمي
واذا ما قالت بي ألم   شك من اهواه في ألمي

وقالت مكنية عن اسم الحبيب بزينب :

وجد الفؤاد بزينبا   وجدا شديدا متعبا
اصبحت من كلفي بها   صبا كئيباً منصبا

غزل الاندلسيات :

تفوقت شواعر الاندلس بغزلهن ، وذهبن بعيداً في صراحتهن ، وشرح عواطفهن ، ولعل ذلك يرجع الى ان المرأة الاندلسية كانت تتمتع بنصيب اكبر من الحرية نتيجة لافكار الفيلسوف ابن رشد ، الذي دعا الى مساواة المرأة والرجل .

ولن نجد مثل صراحة حفصة بنت الحاج الركونية في قولها :

فثغري موردعذب زلال   وفرع ذؤابتي ظل ظليل
وقد املت ان تظمأ وتضحي   اذا وافى اليك بي المقيل

ولا ارق من قول نزهون الغرناطية :

لله در الليالي ما احيسنها   وما احيسن منها ليلة الاحد
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت   عين الرقيب فلم تنظر الى احد
ابصرت شمس ضحى في ساعدى قمر   بل ريم خازمة في ساعدى أسد

ولا أجمل من غزل ولادة بنت المستكفي :

ودع الصبر محب ودعك   ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن من أن لم يكن   زاد في تلك الخطى اذ شيعك
يا أخا البدر سناء وسنى   حفظ الله زمانا اطلعك
ان يطل بعدك ليلي فلكم   بت اشكو قصر الليل معك

وهي التي كتبت الى ابن زيدون :

ترقب اذا جن الظلام زيارتي
فاني رأيت الليل اكتم للسر
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح
وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

الغزل الديني :

أما رابعة بنت اسماعيل العدوية فقد نسكت بالبصرة

وتصوفت وتغزلت بالذات الالهية :

حبيب ليس يعدله حبيب وما لسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن بصري وشخصي ولكن عن فؤادي لا يغيب

وتقول :

ان امت وجدا وما ثم رضى جد بوصل منك يشفي مهجتي

تحويضهن على الاخذ بالثأر :

كانت النساء دائما على رأس المطالبين بالانتقام والاخذ بالثأر ، وفي هذا تقول كبشة اخت عمرو بن معديكرب :

فان انتم لم تثأروا وآتديتم فمشوا بآذان النعام المصلم
ولا تردوا لا فضول نسائكم اذا ارتملت اعقابهن في الدم

وحرصت الخنساء على الاخذ بثأر صخر :

ولن اسالم قوما كنت حربهم حتى تعود بياضا جؤنة القار
لانوم حتى تعود الخيل عابسة ينبذن طرحا بمهرات وامهار
فتغسلوا عنكم عارا يجللكم غسل العوارك حيضا بعد اطهار

ولا ترضى كنزة من ابنها شملة بن برد المنقري الا قانون العين بالعين وترفض القصاص والعقل :

فيا شمـل شمر واطلب القوم بالذى
اصبت ولا تقبل قصاصـا ولا عقلا

هجاؤهن :

خطب دريد بن الصمة الخنساء فرفضته قائلة «ما كنت لادع بني عمي وهم مثل عوالي الرماح واتزوج شيخـا» فهجاها بقوله :

وقالت انني شيخ كبير وما نبأتها أني ابن أمس
فلا تلدى ولا ينكحك مثلي اذا ما ليلة طرفت بنحس

فأجابته :

معاذ الله ينكحني حبركي قصير الشبر من جشم بن بكر
يرى شرفا ومكرمة اتاها اذا اغـذى الجليس جريم تمر

وهجـاء النساء لازواجهن أو زوجات أزواجهن أو زوجات ابنائهن أو أعدائهن ، يتصف بذكر المثالب وأسفه الصفات وبما لا يتلاءم مع فن الهجاء .

وهجاء حميدة بنت النعمان بن بشير ازواجهـا صورة لانحاشهن ، تقول في زوجهـا الحارث بن خالد بن العاص ابن هشام :

نكحت المديـني اذ جاءني فيالك من نكحـة غاوية

كهول دمشق وشبانهـا أحب الينـا من الجالية

وقالت في زوجها روح بن زنباع :

وهل انا الا مهرة عربيـة سليـلة افراس تحللها بغل
فان انتجت مهـرا كريمة وان يك اقراف فما انجب الفحل

فخرهن :

افتخرن باقاربهن وقبائلهن . فالخنساء تفخر بقومها :

هم منعوا جارهم والنسا يحفز احشاءها الموت حفزا
ببض الصفاح وسمر الرماح فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا
جززنا نواصي فرسانهـم وكانوا يظنـون أن لا تجزا

ولا ترى ليلى الاخيلية مجدا في اناس الا كان في قومها اولا :

وما كان مجد في اناس علمته من الناس الا مجدنا كان اولا

حنينهن الى اوطانهن :

تحن النساء الى مواطنهن الاول . وكانت المرأة الجاهلية تخاف الزواج من غريب ، لانها ستهجر قومها .

فميسون بنت بحدل الكلابيـة لما زفت الى معاوية قالت تحن الى البادية :

لبيت تخفق الارواح فيه احب الي من قصر منيف
واصوات الرياح بكل فج احب الي من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دوني احب الي من هر اليـف
ولبس عباءة وتقر عيني احب الي من لبس الشفوف
وخرق من بني عمي نحيف احب الي من علج عليف

وتزوج رجل من تهامة اسماء المرية ونقلها الى بلاده ، فقالت له بعد زمن :

مافعلت ريح من نجد كانت تأتينا يقال لها الصبا مارأيتها لنا ؟ . فقال : يحجرها عنا هذان الجبلان . فقالت :

يا جبلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص الي نسيمها
فان الصبا ريح اذا ما تنفست على قلب محزون تجلت همومها

وهكذا وبالرغم من قلة ما وصلنا من شعر النساء ، وتفرق هذا الشعر في بطون المصادر المختلفة .

واتصاف شعرهن بالسهوله والضعف ، تثبت الدراسة المتأنية والبحث الصادق ان للمرأة شعرا فنيا يصور جوانب حياتها ، ويصف عواطفها ومشكلات وجودها ، ويبرهن انها شاركت على مر العصـور في اعلاء صرح ادبنا العربي مشاركة فعالة ومجدية .

محسن غانم

السينما والادب

بقلم : صلاح دهني

لكي تجلو فكرة تقريب السينما في الادب ، أو هذا في تلك ، يجب أن نبدأ فنتساءل :

هل السينما فن ؟ ومن ثم يمكننا أن ننظر في علاقتها بالأدب عامة أو في أحد فنون الأدب .

هل السينما فن ؟ سؤال عتيق ، عمره في عمر السينما ، أو منذ أن بدأت السينما تستأثر باهتمام جماهير الناس في اوائل هذا القرن فتبنى لها المباني وتشاد الصروح والهياكل ، ومنذ أن جعلت تثير الاهواء وتحرك المنازعات في الأجواء الفكرية في تلك الاوبة بدأت السينما تفرض نفسها كمادة للفكر جديدة تبحث عن تطوير الفيزياء والكيمياء ، وبعد أن كان المحترمون من رجال الأكادمية الفرنسية يشجون بوجوههم عنها فيما يشبه الاحتقار قائلين في ترفع انها فن السوقة – حتى لقد كتب احدهم في دفتر للتوقيعات قدمته له فتاة هذه الكلمة : « السينما بالنسبة للفن الحقيقي كقلم الستيلو بالنسبة للريشة » – بعد هذا التوقف المتحفظ رأينا أكابر رجال الفكر والفن يتسابقون الواحد اثر الآخر الى الاعتراف بالسينما كفن محدث كاداة جديدة للتعبير وضعتها الآلة في خدمة الانسانية على أن بعض اولئك السادة ظلوا على تحفظهم فترة طويلة يغمزون من جانب السينما ويستهترون بقيمتها ، وظل نفر آخر تكشف له السينما عما تجن من امكانات رائعة ، يرد على النفر الاول ، فهاجت عواطف الشاحنات وثارت ثورات المشادات على المنابر وفوق صفحات المجلات ومازال الاخذ والرد محتدماً السنين الطوال ، والسينما تسير وتنقص في سيرها الظافر من صفوف الحاقدين والجاحدين الجاهلين ، حتى تقلصت اعدادهم مع تقلب السنين ولم يبق في عصرنا منهم غير طويل العمر من أعمى أو متعام أو ضال .

وبرز من بين الحاقدين الجاحدين عملاق أنكر أهمية السينما او استكبر عليها لقب الفن هو ج . ب . شو . قال شو في حديث له نشرته صحافة العالم عام ١٩٢٧ ان الفنون الحقيقة الوحيدة عنده انما هي فنون الكلام وان السينما في زعمه لا يسعها ان تضحي فناً بغير شرط اساسي ، هو حذف الصور نهائياً والاحتفاظ بالجمل التي تشرحها وتفسرها ؟؟(١) وقال كذلك ان الالتزام باجتذاب جمهور واسع للغاية هو ذاته مايجعل من التفاهة صفة لاحقة بالضرورة بهذه المهنة ، اذ لاريب في ان القاسم المشترك الاعظم بين ساقية في ملهى بشيكاغو ، وفلاح صيني وعامل مارسيلي هو بالضرورة جد صغير ، واضاف برنارد شو بأن القيمة المتوسطة للمسرح اخفض من القيمة المتوسطة للكتب الروائية ، لانه يمكن يمكن كتابة رواية لـ ١ من ١٠٠ من البشرية ، في حين انه لابد من اغراء ١٠ من ١٠٠ من البشر لملء قاعة مسرح .

فاذا جئنا الى السينما نجد أننا يجب أن نعمل من أجل ٩٩ من ١٠٠ من سكان الأرض ، وهذا يعني أننا يجب أن نظل عاديين أو تافهين واردف شو ذلك كله بقوله : ماهي القيمة التي يمكن أن تكون من نصيب دراما عالمية ، في حين أن نفسيات الأقوام والشعب متضاربة مختلفة ؟ ان الشعوب لا تفهم الرموز ذاتها ، ويستبين ذلك من التقارير التي يتلقاها شارلي شابلن ، اذ تقول ان اليابانيين من مشاهدي السينما ظلوا أمداً طويلاً لا يفقهون أن القبلة الختامية التقليدية في الفيلم الاميركي انما

تعني انتهاء الفيلم ، فكانوا يشهدون الأوربيين وهم ينهضون ، فيقومون بدورهم ، على انهم كان يخيل اليهم أن مرد ذاك الهرب الى قلة الحياء في تلك ،، المداعبة العلنية !

وقد انبرى عديدون من المفكرين الرد على برنار شو وعلى غيرة من اعداء السينما ، بما حشد وحشدوا من حجج وشواهد تدين السينما وتنكر عليها صفة العمل الفكري ، وكان اندريه موروا في عداد من آمنوا باهمية الأداة التعبيرية الجديدة ، وقد قال في الرد على شو أنه لاينكر بأن السينمائي الراغب في صناعة فيلم يقدم لجماهير واسعة ويدر ارباحاً وفيرة ، ملزم بأن يعمل وقد اخذ باعتباره اذواق الجماهير الواسعة . غير ان هذا ينطبق ايضا على كاتب الروايات الشعبية والمؤلف الميلود رامي ، فلا عجب لمن راينا الانتاج السينمائي يصنف على نسق ماتصنف ابه منتجات الادب والمسرح . فكما أن هنالك مجلات شعبية ومجلات موجهة لجمهرة محدودة مغلقة ، كذلك سيكون ثمة في صنوف الافلام ، صنف أو اصناف كهذه ، واخرى كتلك ، افلام لعامة الناس واخرى أقل عدداً لخاصتهم .

بل لعلنا نحسن صنعا في سبيل أن نتقن الرد ، اذا عدنا لتعريف مانعني بكلمة الفن . ولعل خير تعاريفه ذاك الذي اتى به « باكون » : « الفن ، هو الانسان مضافا الى الطبيعة » الفن ـ كما يستطرد الى ذلك اندريه موروا ـ (هو ابداع الانسان عالما صنعيا يخضع لقوانين الفكر البشري كما يخضع لقوانين الطبيعة سواء بسواء) . ان حديقة رتبت في فن هي موضع استنبتت فيه اشجار وازهار وصنوف من جمالات الطبيعة ، لكنها جمعت ضمن مخطط محسوب للاشـــكال والالوان يرضى عنه الفكر البشري .

كما يخضع القوانين الطبيعة سواء بسواء . انه حديقة رتبت في فن هي موضع استنبتت فيه اشجار وأزهار وصنوف من جمالات الطبيعة ، لكنها جمعت ضمن مخطـــط محسوب للاشكال والالوان يرضى عنه الفكر البشري ، وكذا الموسيقى انها جماع أصوات هي جملة من الاحداث الطبيعية ، غير أن تلك الاصوات اختيرت وجمعت على نسق من القوانين الغامضة شبه الرياضية انها عبارة عن ضجيج ولكنه ضجيج منظم .

وعلى هذا كله لم يعد ثمة مجال لأن ننكر بأن السيـنما فن ، انها في الحق صور متلاحقة تعكس مشاهد فن حيـاة الناس والطبيعة والحاجات الواقعية ، غير أن السينمائي يعمد بين تلك المشاهد التي لايحصرها عد الى الانتقاء والاختيار ، فيجمعها على نحو يبدع مصر عالماً خاصاً صنيعاً ، ان المواد والعناصر قد أخذت من واقع الحياة ، غير أن الفن كل الفن في انتقائها وجمعها على نحو دون سواء ، وكذلك فان مما يبرز اسلوب كاتب الرواية ويميزه عن سواه هو ذاته ما يدل على موهبة السينمائي في الافلام التي يقدمها فالفنان هنا مثله هناك يحتاج الى الدقة والايجاز ، فلا يتجاوز لزوم الحاجة في القص ولا في الحركات . وفي هذا المعنى يقول اندرية موروا ذاته « ان الفنان العظيم يعرف بمقدار ما يحذف اكثر من حرصه على مايبقى » .

ويقول الذين عرفوا شارلي شابلن ، هذه العبقرية الفذة الأكيدة خلال مباشرته العمل في افلامه ان ما كان يشغله خلال ذلك كان حرصه على أن يعبر عن أفكاره في ايجاز كلي فكلما شاهد فيلمه ، طاب مزيدا من الحذف في المشاهد ، وان النظرية التي كان يصدر عنها ـ كما ذكر ذلك أحد المخرجين الذين تعاونوا معه ـ هي النظرية ذاتها التي كان يؤمن بهـــا مونتسكيواف يقول : « الكتابة الجيدة ، هي حـــذف الأفكار الوسيطة . » ولقد كان شابلن في أسعد أحواله عندما

(١) لاننسى أن هذا الكلام كتب ايام السينما الصامتة

يوحي بما يبغي قوله بدل أن يقوله مباشرة ، وثمة مثال على ذلك يرد في العديد من كتب السينما هو مثال فيلمه الشهير « الرأي العام » .

ففي هذا الفيلم زي امرأة تنظر الى قطار يغادر المحطة في فترة مؤثرة من سياق القصة ، وقد ابدع في اخراج المشهد لأن الصور لاتظهر القطار ، بل تظهر انعكاس نور العربات الشاحب على وجه المرأة وعلى الرصيف ، كما أن في قصة هذا الفيلم حكاية غريبة تربط اسباب الفن السينمائي بالفنون الأخرى ، فكلنا يعرف الدور الذي تلعبه المصادفات والمقادير في جميع الآثار الفنية الكبرى تقريباً ، فشكسبير التزم مثلا بواجب الكتابة للممثل ضخم الجثة من ممثلي فرقته ، وميكلانج أبدع اوضاعاً رائعة في تماثيله احياناً لأنه انساق الى مراعاة شكل الكتلة المرمرية التي كانت بين يديه ، فاذا عدنا الى الموقف المؤثر الذي جاء في فيلم « الرأي العام » . وجدنا ان شابلن كان مسوقاً اليه بعامل المصادفة : فالفيلم يجري في فرنسا ويصور في امريكا ضمن ديكورات مصطنعة بالطبع . فلما انه جاء دور تصوير مرور القطار ، وجد شابلن انه لايملك عربات افرنسية ، وان العربات الامريكية ستغير الجو عن واقعيته ، واذ ذاك التمعت هذه الفكرة في رأس الفنان : « لنحذف القطار ولنحاول الاستعاضة عنه بما يوهم به ويوحي بوجوده » . وكذلك حصلنا على ذاك التأثير الفني الرائع الذي جئنا على ذكره .

لنسر الآن خطوة اخرى في هذا البحث فنتساءل : هل ثمة علاقة ماتربط بين السينما وفن بعينه فن فنون الادب؟

اننا اذا امعنا النظر في هذا السؤال وقلبنا الرأي في السينما من جهة وفي فنون الادب الواحد تلو الآخر ، وجدنا أنه اقرب هذه الفنون الى السينما انما هي الرواية .

تقول الكاتبة الناقدة الفرنسية كلود ــ ادموند ماني في كتابها « عصر الرواية الأمريكية » .

وهي دراسة اعمق ماتكون الدراسة واروعها واغزرها في تطور الرواية الامريكية المعاصرة وبروزها ـ تقول الكاتبة ان هناك علاقة ثلاثية تقرب فيما بين الرواية والسينما من الوجهات : النفسية والاجتماعية والجمالية .

فوجه الشبه الاول ، وهو اكثرها سطحية ، يتبدى في أن النوعين انما يوجهان الى جمهور واسع الغاية ، فيتسلطان على ذاك الجمهور ويجتذبانه . فعدد قراء الروايات في مقارنته بعدد هواة الشعر يشبه من حيث النسبة عدد رواد الافلام في مقارنته بهواة الموسيقي الكلاسيكية . كما أن مايطلب من الرواية والفيلم انما هو الامتاع قبل غيره ، فاذا كان ثمة من شيء آخر يقدمانه ، فيأتي في الدرجة الثانية . والرواية بعد فنون الأدب قد تنزلت الينا من اصول شعبية بحتة ، فلا تشابه في ذلك الرسم أو الموسيقى أو فن الشعر مثلا وهي الموجهة في الأصل الى نخبة من الناس أما السينما فلعلها أول مثال لفن بتمامه جعلته طبيعة وجوده وكيانه وعبوديته الكلية للجانب الاقتصادي من صناعته ، قد خلق ليكون في جوهره فناجما هريا خالصاً .

واخيراً فاذا كانت الرواية تلذ لقارئها كما تلذ السينما لرائيها على نطاق واسع للفنيين معا ، فمرد ذلك الى انهما يرضيان حاجة اساسية في طبيعتنا : هي تطلع الانسان لمعرفة اخيه الانسان ، ورغبته في أن يحيا فترة عابرة حياة غريبة عن حياته ، وأن يتبنى شخصية غيره واشجانه وافراحه . وان كلا الفنين يعتبران من أدوات « التسلية » أي انهما يسليان المرء حياته وينتزعانه من ذات نفسه ومن واقعه .

ثمة أيضاً اعتبار آخر يحسن بنا أن نلفت النظر اليه . فأصحاب دور النشر والقراء « المومنون » . يعرفون أن مجموعات القصص القصيرة لاتجد سوقا واسعة بشأن تلك التي

يتحلى بها فن الرواية الطويلة . فهذا هو واقع الأمر عندنا اليوم كما هو في البلاد الاخرى . وشبيه بهذا الموقف تقفه الجمهرة الواسعة من الرواية في تفضيلها على المجموعة القصصية التي تضم شتاتا من الحكايات الادبية ، موقف آخر يقفه عامة الأمريكيين وعلى الاخص منهم اهل الارياف ، اذ يفضلون الافلام السينمائيـة المتسلسلة على غيرها ، ونعني بالافـلام المتسلسلة هنا تلك التي تعاود الظهور في حلقة منها المجموعة ذاتها من الشخوص : كمثل بعض افلام شارلي شابلن المتسلسلة الاولى أو أفلام ميكي ماوس أو بعض افلام التلفزيون التي شاهدتها بلادنا كمتسلسل « احب لوسي » الأمريكي ومتسلسل « عادات وتقاليد » المصري في حلقاته الاولى .

ان مؤدى الرأي في الحالين أن قارىء الرواية يطمئن الى شخوصها ويتعرف اليهم ويعايش حياتهم ويتابع سيرتهـا ويجد من بينهم من يوحد معه هويته وهو في الاغلب بطـل الرواية أو بطلتها لما يجد في نفسه من تجاوب مـع نفس احدهما أو تكامل ، وكذلك الامر بالنسبة لأولئك المشاهدين الذين يحبون الافلام المسلسلة في السينما أو التلفزيون حيث يسكنون الى الاشخاص ويعرفونهم معرفة وثيقة ويوحدون مع احدهم هوياتهم مرة واحدة فلا يحتاجون الى جهد جديد يبذلونه في كل فيلم أو في كل حلقة جديدة للتعرف على جو القصة وشخوصها وأبطالها . ان الانسان عبد عاداته كما يقال فهو يعتاد جو الرواية وساكنيه بعد أن يمضي في تلاوتها قدما . في حين يقدر القارىء المفكر اذ يفتح مجموعـة للقصص القصيرة تضم فيها ثمان أو عشر عن عمد أو غير عمـد وعن وعي أو غير وعي ، مقدار الجهد الذي سيبذله ليوحد هويته ثماني مرات أو عشرا على نحـو متتابع مع الشخـص لذي يروقه، ويتجاوب معه ، بدلا من مرة واحدة .

فلنشق طريقنا بعد هذا من جو الشخوص في الرواية أو الفيلم الى فكرة البطل ، وبخاصة في السينما حيث نحيا مع الابطال وتغوينا البطلات و اكثر منهن النجمات . وفي هذا المجال نعلم أن الامريكيين يفرقون ما بين « السيدة الاولى » صاحبة الدور النسائي الاول في الفيلم ، وبين النجمة . فـلا يسع أية ممثلة أن تصبح نجمة : اذ لا يكفي لبلوغ هذا الشأو أن تكون فتاة جميلة ، بل حتى ولا ممثلة ممتازة ، او ذات وكيل بارع في شؤون اي دعاية . بل يجب ان تحظى بموافقة جماعية لا معدى عنها : ان الممثلة لا تعتلي ذروة « النجمة » الا اذا قدرت على فرض ذاتها على الجمهور ، بغض النظر عن الدور أو مجموعة الادوار المختلفة التي انيطت بها أي في نهاية المطاف ، عندما يجد فيها المشاهدون تشخيصا لنموذج جديد . وفي هذا يقول الكاتب الكبير اندريه مالرو مؤلف « الشرط الانساني » ووزير الثقافة في حكومة ديغول الحالية ، في كتابه ، « مخطط لعلم نفس السينما » : ليست النجمة من قريب أو بعيد ممثلة تقوم بأدوار سينمائية . هي شخص جدير بحد ادنى من الموهبة الدرامية ويعبر وجهه ، ويرمز ، ويتقمص غريزة جماعية : أن مارلين ديتريش ليست ممثلة كسارة برنار « بل هي خافة كفرينة » . وهذا مايذكرنا بأن بعض كبيريات الممثلات لم يتمكن من بلوغ مرتبة النجمات . وفي جمـلة هاتيك يخضرنا اسـم « بت ويفيز » الممثلة الرائعة ، التي لم تتمكن من بلورة المشاعر الجماعية من حولها ، لماذا ؟ لقـد يكون السبب أن شخصيتها كانت مرنة وأن ملامحها معبرة الى درجة عجيبة ، حتى انها كانت تقتحم في لبوس كل دور تؤديه ، فتغيب فيه بعد أن تشففها الشخصية ، وتستحيل كائنا آخر تتقمصه بكليتها . في حـين أن امرأة من نوع كاثرين هيبورون كانت تظل نفسها بوجنتيها البارزتـين وشخصيتها الجامحة ورطانتها الخاصة ، وكذلك مارلين مونرو بشفتيها الثقيلتين وعينيها الباردتين وكيانها الحار ولهجتهـا

المراهقة المتعثرة . ولهذا ظلت بت ديفيز ممثلة ، وممثلة عظيمة وتسامت مارلين مونرو التي لاتضارعها من حيث البراعة الفنية ولا تدانيها الى علياء النجمة .

ان شخوص الرواية المكتوبة يخضعون بدورهم للشروط ذاتها التي يخضع لها شخص الرواية السينمائية وابطالها: وفي مقدمتها شرط اساسي لنجاح الشخصية ينطوي على بعض التناقض هو ان عليها أن تكون في الوقت نفسه شبيهة بنا نحن أهل الحياة ، وارفع منا ليكون منها « أنا متسام » لايخضع التزامات الحياة العادية وحدودها . ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن اكبر مايشغل شركات هوليود الكبرى عندما تلقي في الميدان نجمة سينمائية جديدة هو أن تحيطها بسمعة شبه ظرفية تجوز بها فكرة الجمال والنداء الجنسي (سكس ابيك) والفتنة . أن ماتحيطها به هي هالة من الدعايات غريبة تجعل النساء يتخيلن أنفسهن في اهابها « أما الرجال فيحلمون بأنهم عشاقها — وهذا دون أن تفقدها الدعايات خصائص معينة تربط فيما بينها وبين متوسط الناس . وليس يحسن اذ ذاك أن تكون جميلة ، أو ذات فتنة صارخة ، تؤسس النسوة من التشبه بها والرجال من بلوغ قلبها وتبعدها عن النظارة بعدا شاسعا . أن « النجمة » حسب الصيغة الأخيرة التي تبنتها هوليود يجب الا تكون اميرة من اميرات الأساطير ، بل مجرد فتاة أمريكية متوسطة عرفت كيف تفيد من خير ما فيها وأفضل ماتملك من صورة وموهبة .

وهذا ذاته مانراه في الراوية المكتوبة حيث يحسن أن يكون الاشخاص أكثر جمالا من القارىء وأشد تأليفاً ، وأقدر منه على أن يحيوا حياة عاصفة شريطة أن يظلوا شبهاء به حتى يسعه أن يقارن بينهم ، وبين نفسه . ولذا يجهد المؤلف في ابراز ما فردية كل منهم قدر ما يمكنه ذلك ، وفي أن ينفض عليهم خصائص انسانية بعينها تقربهم من عامة البشر وتميزهم عنهم في آن معا .

وعلى ذلك فالسينما والرواية يلتقيان على مستشرف نفسي واحد ، ويشكلان لذة فن طبقة واحدة في حين أن المتعة الجمالية التي يمتعها المسرح ونوادة تختلف عن تلك في الكيان والطبقة . لذلك كان الفارق عظيماً بين الشروط التي يجري ضمنها تلقي الفيلم وتلقي المسرحية ، وهي المتشابه في الظاهر شبها عظيماً : فالواقع أن الفارق عظيم بين قاعة المسرح وقاعة السينما . وعلى عكس ذلك فجمهور الفيلم وجمهور الرواية ينتميان الى فئات اجتماعية تكثر فيما بينها الشبه وتتقلص وجوه الفرقة ، نأتي اخيراً الى الوجه الثالث من وجوه القرب بين السينما والرواية ، وهو اشدها عمقا واقواها أثراً هي القربى الجمالية : فكلا الفنين في طبيعته روى وقص . ولهذا الروى أو القص قوانينه التي تختلف جليل الاختلاف عن القوانين التي تخضع لها المشهدية .

(١) . وضعها المسرح . فثمة مطلب اساسي في الروايه هو التتابع ، الذي يبدو واضحاً في الحكايات التي يتناقلها الخلف عن السلف (وتشكل في الواقع أصل الفن المردائي) في مثل « الف ليلة وليلة » . لذلك كان التتابع وطريقة بلوغه أهم ما عني به كتاب المرداية الحديثة ، وكذلك مخرجو الافلام السينمائية الأوائل في مطلع هذا القرن ومنذ أن انتقلت السينما الى قص القصص والحكايات بعد أن كانت مهمتها تسجيل الوقائع والأحداث . ومع مضي الزمن وتقدم العلم وتعقد الموضوعات بدأ الكتاب والمخرجون يتلاعبون في طريقة القص فلقد يستخدم الكاتب رواية يقدم الحوادث واشخاص الذين عاشوها ، ويكون واسطة خير بين القصة وقارئها . ولعل السينما تفعل الشيء ذاته ، اذ أن عدسة الكاميرا فيها أن هي الاشبكية العين التي ينطبع عليها كل مايعرض لها ، غير أن السينمائى لم يكتف بذلك بل أضاف في بعض الافلام راوية يفهم القصة ، هو في النتيجة

عدسة جديدة تقف بين الانسان المبدع وجمهوره ولقد تكاثرت الاساليب وتعددت في السينما وفي الراواية، وارتبط كل اسلوب باتجاه يمثله شخص ذو فكر مبدع خلاق أو مجموعة أشخاص، والغرض من كل اسلوب بلوغ ضرب جديد في التأثير الجمالي يقع موقعاً خاصاً في نفس الرآي أو القارىء.

لقد رأينا في خلال ماسلف أن السينما فن، وفن عظيم لأنه أكمل فن جماهيري عرفه الانسان يوجه الى فئة ولا الى طبقة، بل يأخذ في امتداده العالمين أجمعين. ورأينا أن هذا الفن يتصل بصلة، القرب الوثيقة بأحد فنون الادب الا وهي الراوية، أود. وأشعر أني قد كان في ودي أن افعل في تبيان هذه القربى، ولكني أرجع المستزيد في هذا الباب الى البحث القيم الذي أفردته له الناقدة الفرنسية كلور - اوموند ماينى التى جئت على ذكر كتابها «عصر الرواية الأمريكية».

وأطرح الآن سؤالين آخرين يكتمل بهما هذا البحث: هل أثرت السينما في الأدب ؟ وهل تأثرت به ؟ وسأكتفي في الاجابه بالكليات العامة دون الدخول في التفاصيل وفي الجزئيات.

نعلم أن الأدب لايقتصر على ترجمة الاحاسيس: فهو وحده القادر على التعبير عن العواطف والافكار والآراء المجردة. أنه الوحيد الجدير برسم لوحة كاملة لما يعتمل في النفس في نشاط داخلي فهو من بعض الوجوه أغنى من السينما وأكمل.

ومع هذا فما دام لكل منها مجاله الخاص، هل يسعنا أن نخص في بحث مايتبادلان من وجوه التأثير ؟ أجل، يسعنا ذلك، لاننا نؤمن أن كل شيء يمكن أن يؤثر في أي شيء. وقد سئل أحد الشعراء مرة عما اذا كان يعتقد أنه قد كان للسينما تأثير في شعره. فأجاب ضاحكا: «اجل، ولكن بمقدار لايفوق تأثير شركات الملاحة الكبرى والقاطرات، وسخانات الحمام، والحداد الذي يأتي لاصلاحها».

ولقد تعجبنا خفة الروح عند الشاعر، ولكننا لاننسى أن كل شيء في عصرنا يمكن أن يرد الى تأثير المدينة الحديثة واسبابها الآلية، الأمر الذي لايسوقنا الى أن ننكر بأن اكتشاف الفن السابع، السينما، قد كان له أثره البالغ في اعادة تثقيف حساسيتنا وفي اغنائها، حتى اننا لايدهشنا اليوم أن يقال أن السينما وحدها قد كان لها من التأثير في بني الانسان مالم يكن لمخترعات العصر مجتمعة.

ولنسمع هذه الملاحظة من أحد المفكرين الفرنسيين قد جرت تحت قلمه مجرى التحذير: «ان مايجب علينا أن نحفظه جيداً، هو أن عالم الأدب اليوم، يتلقى أول رهط من الرجال الذين تأثرت طفولتهم وشبابهم بالمشاهد السينمائية.

التأثير اذن واقع، ولكن التأثير ابداً معقد في مثل هذه الامور، لايشبه خطاً مستقيماً. وقد كان جورج ويهامل صاحب «دفاع عن الادب» بين أبرع من بحثوا أمل هذا التأثير وبينوا اخطاره على الفكر الى درجة المبالغة. ولكن البحوث المعاصرة أثبتت أن التأثير كان ايجابياً اكثر منه سلبياً. وفي مجال الأدب ذاته، ثبت أن السينما قد خلصت الأدب من عديد من مشاغله القديمة التافهة، من مثل تقصد الحركة والسرعة والملاحقات والمفاجآت المسرحية شأنها في ذلك شأن الصورة الفوتوغرافية عندما ابرأت فن الرسم من فكرة «البحث عن مشابهة الاصل» ان الفنون كما يقول أحد المفكرين يعين بعضها بعضاً بمقدار مايغتصب أحدها من الآخر، لابمقدار ما يحمل أحدها الى الاخر ولذا يرجعون في يومنا الى السينما فضل ازدهار الادب النفسي، والادب الصافي، الخاليين من المغامرات

فكرة التسلية .. فما يتخلص الأدب من جانب فن جمهوره، هو ذاك الذي يتألف من هواة الحكايات، حتى سيمكن للكاتب الروائي أن يمد بصره الى ماهو أبعد من تسلية قرائه : لسوف يمكنه أحيانا أن يصبح عالماً حقيقياً على شاكلة بروست، فيشرح آلية تفكيرنا وذكائنا وحساسيتنا. وقد لاحظ «ويامل» ولاحظ غيره وجود تباعد أو طلاق كما يقولون بين الأدب فى فرنسا وبين الجمهور القارىء الواسع، وتساءلوا أن كان مرد ذلك الى النزف الذي سببته السينما.

ونلاحظ من جهتنا اليوم أن الاديب الذي لا يعنى كبير عناية بالحركة والسرعة وما الى ذلك، هذا الأديب نفسه لم يسلم من تأثير السينما، وأعني التأثير المباشر لا غير المباشر، فالتأثير هنا يسري على نمط التفكير ذاته لدى الأديب ونراه على نحو عام في طريقة التأليف وتقطيع الفصول وعرض الافكار، التي تشابه طريقة تركيب الفيلم السينمائي أكثر مما تشابه جملة الكتب التي كتبت فيما مضى من العصور : فالكاتب الآن حر في أن يمزج الحاضر بفترات سلفت وانقضت من الماضي، يقاطع ويواصل فيما بينها على نحو قد يحسده عليه مخرجو السينما وينطبق عمله هذا في الوقت ذاته صادق الانطباق على الواقع النفسي.

وبذا يكون فن الشاشة أول الفنون التي عرفت كيف تخرج الماضي بالحاضر بالمستقبل. ونحن اذ نقول هذا لا يذهب فكرنا الى الافلام ذات الطابع النفسي بالدرجة الاولى، بل الى تلك التي اصطنعت على النمط الأمريكي أوما ومايعرف بهذه الصفة من الانتاج الامريكي (كأفلا الكاوبوي والغانغستر العامرة باعمال الاختطاف والمطاردات بالخيل والملاحقات بالسيارات، وبطلقات المسدسات الخ ..

فكثيراً مانرى في هذه الافلام ضمن مشاهد الملاحقة مثلا سلسلة من الصور يختلف مضمونها عن مضمون الملاحقة ولكنها تمت اليها مع ذلك بصلة وثيقة : فتمثل الغرض الحقيقي من المطاردة، أو ذكرى أول لقاء مع الفتاة المخطوفة، أو الطفل الذي يكاد يقتله المجرمون الخ. لقد كان الاثر الفني فيما مضى يستلزم توفر الوحدات الثلاث الكلاسيكية : وحدة الزمان ووحدة المكان ووحدة الموضوع، أما اليوم فقد عفا الزمان على هذا المفهوم البنائي واستعيض عنه شيئاً فشيئاً بما يدعى بالمفهوم الموسيقي أو على الاصح : بالمفهوم السينمائي.

ان الوحدة التي يبحث عنها الفنان اليوم تشبه غدير الماء الذي يتكيف مع مجراه، كذلك هي تتكيف مع دفقة الفكر الانساني في حركتها واختلاف صورها وتناقضها فالفنان الأديب يتحاشى التأليف المنطقي، وتتابع افكاره على الصورة التي ولدها فكره، فكأنما هي قد سجلتها آلة تصوير سينمائي أمينة، أنه أكثر حرية من أي وقت مضى، حرية لا تنفي الانتقاء والاختيار الذي هو أساس الفن ولكنها لا تتقيد بالتزامات الأديب الكلاسيكي بوحداته الثلاث التي طالما استعبدته وغلت خياله. وفي خارج حدود الرواية نجد تأثير السينما يلحق بالمسرح ويلحق حتى بالشعر. ففي المسرح يطلق الكاتب الفنان لخياله المبدع دون أن يتقيد بتقطيع الفصول على النحو القديم، بل يترك للمخرج مهمة تقديم نتاجه للجمهور على نحو ملائم. فيكثر هذا من تغيير الديكورات - شأن مايجري في السينما - أو أنه يعمد أحيانا الى فصل خشبة المسرح ذاتها الى جزئين وتحريك الممثلين في ديكوريين في آن واحد أمام النظارة، ليبرز وقتية حادثتين أو فعلين، شأن مافعل جاند لوي بارو في مسرحية كافكا الشهيرة « الدعوى » والغرض من هذا كله منح المسرح حداً معيناً مما يتمتع به الفيلم من مرونة وليونة ويسر في تنقيل حوادثة في الزمان والمكان.

وكذلك الأمر بالنسبة للشعر. فقد مرت فترة جعل فيها الشعراء يتفننون في ترتب اشعارهم وتقطيع كلماتها وصف أسطرها على نحو

مقصودا معه الى ايقاع ضرب من الصدمة البصرية لدى القارىء وتحريك ذهنه من خلال نظره بالاضافة الى المعاني التي تتخلل مادتهم نذكر من هؤلاء ما ياكوفسكي ، ونذكر على وجه أخص الشعراء فرق الواقعيين أيام مجدهم الاول على وجه التخصيص ، كان غرضهم من ذلك اذن منح القارىء انطباعا من نوع الانطباع الذي عودته عليه السينما أما في الفترة التالية التي تمتد الى يومنا هذا فقد دخلت حركية السينما في نبض الشعراء وقارىء اليوم يكاد يعجزه فهم بعض الشعر الفرنسي الحديث لكثرة ما فيه من غموض وتقطع فى الافكار وازدحام فى الرؤى والتخيلات . ولقد يكون ثمة تأثير مماثل فى القوالب الحديثة التى يستعملها شعراؤنا العرب الشباب اليوم .

وبعد ليس لنا الا نكرر أحد الكتاب فى تمجيد السينما ، هذا الفن الذي يأخذه البصر بين حواسنا قبل غيرها : « هذا الصباح ، العين هي اميرة الدنيا » . . ويتبع ذلك بقوله : « السينما هي أبي . انها تمنح الأدب دما وأرجونا » . .

أما عن التأثير المعاكس (الأدب في السينما) فلم يكن ليخفى منذ مطلع السينما ، ولطالما بحث ودرس ، وندد الباحثون والدارسون بفعله الردىء وأثره المسىء ، فقد ظهرت السينما فجأة في بداية هذا القرن الذي لا يزل يردف العجيبة بالعجيبة ، ظهرت كفن دونما سابقة تستنير بها أو تقاليد تنهك منها وتتبصر بها سبيلها المقتل ، وسط العديد من الفنون القديمة ذات التقاليد العريقة والتراث المنوع الفني ، فما خرجت السينما من طور الفأفأة والتأتأة ودخلت مرحلة قص القصص والحكايات حتى مدت يدها بالسر والعلانية تنهب من ذاك التراث أفضله ، وسطت على اروع الروايات والمسرحيات التي ظهرت فيما مضى من الزمان ، ولم تكتف في ذلك بآثار هوغو وبلزاك ورواية « كوم العم توم » وغيرها كثير لا يحيط به عد ، بل تجاوزته الى آثار شكسبير ذاته وآثار لداته في كل امة .

وفي سبيل اقتباس الآثار ، أعمل المقتبسون من كتاب السيناريو والمخرجين أذهانهم – ولم تكن دوما بقوة ! – اذ كان يجب أن ينقل الأثر الأدبي الى لغة جديدة هي لغة الصور ، لغة السينما ، ويقتضي ذلك ما يقتضي من تقديم وتأخير في الحوادث ومن توسيع في ادوار بعض الشخوص على حساب بعضهم الآخر واختصار في بعض المواقف وبعد هذا ليس غريباً أن نقول أن كوارث كثيرة قد حدثت وأن الغيورين على الأدب والأدباء قد شهدوا ما يشبه الاهوال فيما فعلته السينما بالتحف الأدبية التي يؤثرونها باعتبارهم ومحبتهم وتقديرهم ، فلا الروايات ولا المسرحيات التي يعرفونها هي تلك التي تعيدها عليهم الشاشة وان كانت تحمل الاسماء ذاتها وتتضمن الشخص انفسهم في ازدهار وشباه منافقين .

وقد اتيح لنا ان نرى الكثير من هذه الافلام التي اقتبست موضوعاتها من الآثار الأدبية ، كبيرها وصغيرها.. مر موكبها أمامنا فلم يخلف في غالبيته الساحقة سوى المرارة : وفي حين سقط الفيلم أو ضبا ، ازداد تألق التحفة الادبية فى أذهاننا . ولم يمض وقت طويل على مشاهدتنا فيلم « اميرة كليف » الذي دعي بالعربية « الأمير العاشقة » ويقتبس رواية مدام دولافاييت الشهيرة . ان شخوص الملك هنري الثاني وزوجة الملكة والامراء والاميرات واشراف البلاط جميعا الذين كانت الحيوية تنبض في عروقهم ، ضمن جو الدسائس السياسية والعواطف الغرامية الذي برعت مدام دولافاييت بتصويرها ، والذي جعل روايتها ، حية باقيه بعد ثلاثمئة سنة من كتابتها تقريبا – ان هذا كله قد انقلب الى ما يشبه متحفا للشمع في الفيلم السينمائي الفخم الملون الذي جند له عملاق من مرتبة كوكتو جان للاقتباس ، ومعلم قديم من مثل جان دولانوا للاخراج ذاك مثال للسينما الأدبية الرديئة في حين أننا شاهدنا رواية أخرى قد اقتبستها السينما وقدمتها في فيلم ناجح عن

رواية تولستوى « الحرب والسلام » التى تواضع المؤلفين والنقاد على أنها اعظم رواية أدبية كتبها كاتب في أي عصر وفي أي بلد . ظل الفيلم السينمائي بالطبع دون التحفة الادبية الاصلية بكثير ولم يردد على مسامعنا سوى القليل من شجي الالحان وعالي النغمات للتي تميزت بها رائعة تولستوى ، ولكنه مع ذلك قد أسمع فأطرب وجعلنا نحيا في جـــو « الحرب والسلام » .

وثمة مثال آخر من امثلة تأثير الأدب في السينما هـو مثال « السينما المتأدبة » . تلك التي يطلق فيها صاحب الفيلم العنان لروحه الأدبية الفياضة فيملأ أفواه الممثلين والممثلات بالعبارات التي ينتظر لها أن تفوز باعجاب النظارة ، فيصفقون لها ويطربون . وامثال هذا السينمائي كثيرون في البلدان ذات التقاليد الأدبية العريقة ، أو تلك التي لم تهضم بعد عقلية السينما ، فالسينما هي فن الصور وليست فن القول ، وان المرء فيهـا – وبخاصة العادي من الناس الذي يمثل كثرة الرواد لا تهمه الجملة الفخمة أو القول الطنان قدر مايهتم لتتبع الصور والمشاهد في تقلبها . وقد تمكنت آفة السينما المتأدبة وترسخت في أرض فرنسا بالدرجـــة الاولى . حتى لقد طرح « لوي دللوك » الناقد السينمائي الفرنسي هذا السؤال منذ عام ١٩٢٠ تقريباً . « هل يتمتع الفرنسي برأس سينمائية ؟ أي هـل يتمتع الانسان الفرنسي وهو سليك حضارة معينة ، بعبقرية تتلاءم ، فن السينما ، يمكنها فيه أن تخلق وتبـدع » . ولا أغالي اذا قلت ان هـذا السؤال مايزال يطرح الى اليوم ، بين الفينة والفينة ، في الصحافة الفرنسـية المتخصصة ، ولقد يكون هذا الذي تعاب به السينما الفرنسية عند بعض الناس فضيلة لا تقاربها فضيلة عند بعضهم الآخر الا أن ذاك النفر من الناس الذي تروقه الكلمة الذكية وتمتعه الالتفاتـه الذهنية البارعة ، التي تعبر عن عبقريه أمة بعينها ، قد لا يشكل سوى جزء محدود من جماهير العالم يغلب أن نجـده في الطبقة المثقفة من كل أمة وهذا الجزء المحدود لا يكفي لرفع راية الفيلم الفرنسي ونسر نتاجه على نحو واسع .

على حين نجد أن الموقف من الفيلم الأمريكي عكس ذلك تماماً . فالفيلم الأمريكي واسع الانتشار مضمون النجاح في كل صقع من أصقاع عالمنا . وهو على نقيض الفيـــلم الفرنسي ، لا يبدأ بالأدب ، لينتهي بالسينما ، بل يبدأ بالسينما وينتهي فيها . وحتي عندما يقتبس روايات الأدب ومسرحياته فأنه يعرف كيف يترجمها الى لغة السينما ترجمة صحيحة تلائم فنها وتساير عبقريتهـا . ولهذا الأمر تفسيره المنطقي . فقد وجدت السينما في الولايات المتحدة على وجه الخصوص أرضاً خصبة مثالية . فهي بالرد صناعية متطورة أخـذت بأسباب الآله وعالجتها فبرعت فيهـا وهي في الوقت ذاته تخلو من تقاليد عريقة في الفكر والادب والفن ، فلما أن جاءتها السينما وهي وليدة الآلة والتطور العلمي وجدتها أرضـــا بكسرا يمكنها أن تترعرع فيها وأن تعطي خير الثمار ، والحق أن صناعة السينما الأمريكية – على مافيهـــا من عجر وبجر – أفضل صناعة من نوعها تمكنت من الاستجابة الروحيه السينما وذهنيتها . ولهذا قيل « انه لأول مرة ، كان فقـــدان الحضارة والتقاليد الفكرية جدير بأن يمتـدح » قيل ذلك في جمال الاشادة بما أفادته السينما الأمريكية من فقدان التقاليد الفكرية العريقة في بلادها وتخلصها من تأثيرها . فبسبب من ذلك وبسبب من خلو الساحة أمام الفنان الأمريكي ، استطاع أن يكون حراً في معالجة الفن الجديد وان يقاربه أفضل ماتكون المقاربة ، أي بما يتطلبه من حيث الشكـــل من حركية وديناميكية ، بغض النظر عن المضمون الذي يمكن في ذاته أن يكون فقيراً على وجه عام . وخير مثال على هذا الضرب من الافلام التي تبرع في الصيـاغة الخارجية ، افلام هيتشكوك ، التي بلغت القمة من حيث الصياغة الفنية والقالب الخارجي ، حتى لقد لا يضارعها مضارع ولا يندهاند . حتى اذا فحص محتواها عن قرب تكشف الهزال في بنائها الفكري .

السؤال العتيد

جورج معراوي

« قلبك هذا ؟ معاذ الهوى
فأين العواصف اين الرعـود
وأين الحرارة والدفء فيـه
واين العبـير واين الورود
أجفت شرايينـه أم ترى
تشاغـل عني بحب جديـد ؟ »

★ ★ ★

أجيـب ولكنهـا لاتزال
تعيد علي السؤال العتيـد
وترمقني مقلتان اثنتان
هما سلمي في ارتيـاد الخلود
هما شقتـا لي طريق الرحاب
فرحت أحلق فوق السدود
وأكشف عن كل لون «جميل»
وراء النجوم وراء الحـدود

ـ « أقلبك هـذا » وترنو الي
بعينين عـين براهـا الجحود
وعين تفيض وتطفـح مكراً
جميـلاً بكل حنـان يجود

★ ★ ★

تسائلني وتعيـد السـؤال
لأذكر حبي لهـا وأعيد
وتعـلم أني لهـا وحدها
اصوغ النشيـد وراء النشيد
وأني من أجلهـا وحدهـا
اردت الحياة وسوف أريد
يقولون هـذا الوجود الزري
وأهتـف بالجمـال الوجود

★ ★ ★

« أقلبك هـذا » وخفقاته
تدق تدق كأجراس عيـد

جورج معماري

وكثيراً ماهبت عواصف المناقشات بين انصاره وتشكوك وبين خصومه ، فهؤلاء يجردونه من كل نفخة انسانية ؛ وأولئك يكتفون منه بفضل الامتاع .

نتساق من هذا كله الى القول بأننا يجب ألا نبهظ كامل الأدب فنتهمه بما لحق بالسينما من صنوف الرواءات والنقائص فليس يمثل الأدب كله نوع واحد من الآثار على درجة معينة من الكمال ، واذا كان بعض الافـلام يقتبس نوعا من لروايات الأدبية الرديئة ـ كالروايات المجنية أو البوليسية مثلا ـ فهل يعني ذلك أن السينما لم تلق ولن تلق أي عون من جاذب الأدب كله ! هذا من ناحية ، وثمة ناحية اخرى مهمة هي أنه كثيراً ماصنع السينمائيون افلاماً ـ ممتازة بدءا من روايات بسيطة أو عادية ، وانهم كثيراً ماصنعوا أفلاماً هزيلة بدءاً من روايات خوالد .

ان الادب يعين الفنون الأخرى على تفهماتهم امكانيـا ومعرفة ذواتها تفهما أكبر ومعرفة أوثق ، وكثيراً ما كانت نظريات الادباء ومكتشفاتهم الاسلوبية أو مبتدعاتهم المحدثة سبيلاً لاغناء الرسم والنحت والموسيقى . . وكذلك السينما .
وان الأدب أيضاً يجهد « لتعريف الانسان بحواسه الخمس وتمليكه اياها » ، وكذلك شأن السينما ، ولذا فليس يسعنا أن نزعم بأن السينما قد آذت الأدب او نفعته دون أن يكون العكس صحيحاً أيضاً : فكل أثر ادبي لوحظ فيه تأثير جاءه من السينما (في اسلوب العرض أو في الحركة الداخلية . .) انما يتنزل بدوره من تقليد أدبي لم يتح له بلوغ النضج في زمانه ولم يصل الى حد استخلاص « نظرية » منه كاملة .

ولهذا ، فلا معدى عن القول أن ثمة توافقاً وتعاونا بين السينما والأدب ، عن غير تقصد في أغلب الأحيان . وما نرجوه ، وما يرجوه كل مثقف ، هو أن يبلغ هذا التعاون مراميه وأن يسير في عمد وقصـد الى افادة الجانبين سواء بسواء لصالح الثقافة والفكر في كل مكان .

لوحـــات حيـــة

ملاحظات عن فن الرسم الأرمني

طبيعة ارمينيا جديرة بأن تثير اعجـاب المرء منذ ان يزورها للمرة الاولى ، فهناك اذا صعدت في الطريق الذي يلف الجبل كالشريط ، فان الحجارة ستعترض سبيلك ،صفاً وراء اخر دون نهاية ، وفجأة تنداح في اعماق حـــوض صخري يتألق كالالماس ، بحـيرة زرقاء ، او يمتد على مدى بصرك بحر احمر واسع من شقائق النعمان ، او يترنح القمح الذهبي تحت السماء الزرقاء ، وتنتظم هـذه المفارقات جميعاً وحدة متناسقة من موسيقى الالوان الطبيعية التي يبدو انك لن تعثر عليها الا في هذه المنطقة .

ففي اي من تلك القمم الصخرية ، تنسل الازهـــار العجيبة الجميلة من خلال الحجر ، وتتلع اعناقها نحو الشمس ، وبمثل هذا العناد ، نفذ الشعب الارمني من خلال القرون الى الحرية والسعادة والحياة الجديدة ، وبهذه الحياة الجديدة يتغنى الزجالون بأزجالهم ، وينظم الشعراء قصائدهم ، ويمجدها الرسامون بلوحاتهم ، وقد استطاع ابو الرسامـين الارمن «مارتيروس ساريان» ان يعكس في اعماله حياة ارمينيا الجديدة ، وان يصورها بشكل رائع معبر ؛ حتى لتعتبر اعماله تاريخاً لارمينيا السوفييتية .

ومن الصعب تقدير قيمـــة الدور الثمين الذي اداه ساريان في تطوير فن الرسم السوفييتي ، ومما يذكر لهـذا الرسام الماهر ، عمله في اقامة اتصال طبيعي بين الفن الارمني الحديث وتقاليد الفن الموروثة من القرون الماضية ، وساعد الادراك العقلي لهذه التقاليد على تنشئة المدرســـة الوطنية الحديثة وازدهارها ، وقد جذبت التلاوين المتفائلة في فن ساريان كثيراً من الانصار والمريدين لفنة ، ولكن هؤلاء لم يكونوا نسخة طبق الاصل عنه ، بـــل كان لكل منهم مسهمه في تطوير الفن الوطني . وفي السلسلة الطويلة للوجوه التي رسمها ساريان يبرز وجه المواطن الحديث بصورة خاصة كما تبرز سماتها النفسانيـة ، لدرجة تستطيع بها ان تحدد في الرسم صفات صاحبه الروحية حـتى دون ان تعرفه . ولا تقتصر لوحات ساريان على الوجوه ، وانما هي دنيا ، وبلاد كاملة . ففي الطبيعة الصامته عند ساريان « واسمها اثار على السفح الصخري لجبال ارغاتس» ترى كم في شمسها من عنفوان وكم في ثمارها الحمراء والصفراء والخضراء من الذهب ، وكم في غنائها وامتلائها على السواعد العجيبة من حب العمل يعرف عن الفـــلاح الارمني ، وكذلك ترى كيف يلتقي في ان واحد اعجاب الفنان وتعبيره مـع حب الانسان للطبيعة ، ويمكن ان ندرك هذا جميعاً في لوحات ساريان ، وقد قال لوناشارسكي اول وزير سوفياتي للمعارف : « حينما زرت ارمينيا » ، شعرت ان ساريان واقعي لدرجـــة جاوزت ماكنت اتوقع » .

ويمكنك ان تلتقي في مرسم ساريان بالرسامين الشبان الذين يترددون عليه للنظر في لوحات الفنان الكبير الرائعة ، وللدراسة والاستزادة من ارائه ، وبينهم ميناس افيتسيان يمثل الجيل الجديد من الرسامين الارمن ، وهو من خريجي اكاديمية الفنون في لينينغراد ، وتبدو اعماله جذابة بطابعها المشرق ، وفي النواحي العادية من الطبيعه يرى ميناس مادة شعريه ، وصور المناظر هي النوع المحبوب لهذا الرسام ،وقد لايكون الوحيد الذي احب مناظر بوراكان وبيراكوس واشتراك وغيهغـارد ، ولكن ليس من احد قبل آفيتسيان استطاع ان يرسم « دجور» الجبلية وهي مسقط رأس الفنان بمثل تلك الشاعرية .

ويلجأ ميناس في بعض لوحاته الى التعبير الرمزي ، وابرز مثال هي لوحة « الصيف » ففي اعماقها تبدو الاشجار الخضراء مثقلة بوطأة الحر ، والسماء زرقاء ، ويبرز جسم فتاة هيفاء القد تحمل جرة من الماء، وقد رسمت بألوان نارية حمراء كأنها امتصت كل ما في نور الشمس من لهيب .

ويقول واحد من اكبر الفنانين الحديثين ، وهو جان لورسا الذى زار معرض لوحات ميناس في يريفان : عظيم ، ان هذا الفنان يمكن ان يقارن بأحسن الرسامين المحدثين في فرنسا. ويوحد رسامينا اساس واحد وهو التفكير الواقعي، وهم بعيدون عن الفن التجريدي الذي يشوه الحياة ولا ينطوي على ذرة من الفن الصحيح ، ولكن الفنان يحتفظ في نفس الوقت باصالته الخاصة وكل من يرى لوحات الرسامة الارمنية لافينيا باد جيئوك ميليكيان سيكون على يقين من معرفة اليد التي رسمتها ، لما في اسلوبها الخاص من طابع متميز.

ويحب رسامو ارمينيا في العادة رسم الازهار والفواكه، ويجمعونها احيانا بالمناظر، واما ميليكيان فانها مولعة بالرسم التزيني على السجاد ، وتحب المزهريات والجرار والازهار المنزلية ، وترسم باهتمام كبير فتعبر عن خصائصها ، وتتحدث الى الناس بطريقتها عن الايدي التي حققت هذه اشياء .

ومن الظرائف الظريفة لوحة تمثل والد الفنانة ، وهو الرسام المعروف الكسندر بادجيئوك ميليكيان ، وقد ظهر فيها بين لوحاته التي تملأ الجدران ولا تترك اي فراغ ، ورسمت يداه الكبيرتان القويتان بشكل يبرز وجه الشبه بينهما وبين ايدي العمال والفلاحين ، ويوحى بواقع العمل الثقيل المنهك الذي يقوم به الفنان ، وقد اشترى المتحف الروسى في لينينغراد هذه الصورة وعرضها منذ وقت قريب في استكهوم وبرلين .

وكذلك رسمت الرسامة البارزة وجوه كثير من الناس المعاصرين لها بشكل قوي التعبير .

اما نانا غوليكخيان فهي مثل كثيرين من جيل الرسامين الجدد متخرجة من معهد الفن والتمثيل في يريفان ، وقد وضعتها لوحتها « اغنية » في صفوف ابرز الرسامين في ارمينيا ، فقد تميزت بما فيها من حماسة بالغة وفرح لانهاية له وبهذا الحب العظيم المخلص للناس ، والفتاة التي تبرز صورتها في هذه اللوحة تمثل تطلع الشباب نحو المستقبل ، وتبرز رائعة في حركتها السريعة ، وكانت « اغنيتها » ترفرف فوق حقولها الاثيرة الحبيبة ، واما الفتيات الحاصدات المرسومات على جانبي هذا الوجه الاساسي؛ فيظهرن كالاجنحة التي تحمل تلك الاغنية بعيداً وراء الجبل . وقد كتب الكاتب المجري « لاسلو باللا » الذي زار المعرض الفني في موسكو سنة ١٩٦١ : لقد ابهجتني جداً لغة الالوان المعبرة عند رسامي ارمينيا السوفييتية ، وكنت مأخوذا حينما وقفت امام لوحة لغوليكخيان اسمها « اغنية » ، فهي توحي الينا جيداً كيف تنفذ الاغنية الى صمت الحقول ، وتمتزج به الى درجة كبيرة معبرة ، في رأيي ان هذه اللوحة كانت احسن لوحات المعرض .

واكثر الضيوف الذين يزورون ارمينيا السوفييتية يقومون بزيارة بوراكان ، فهناك قرب المرصد العالمي المعروف ، يوجد مرسم الرسام الشعبي الارمني اوهانيس زارتاريان ؛ وهو لايزال منذ سنوات يعمل في تعديل نماذجه الخاصة بلوحته « الطموح » ، واستكمال خطوطها الاخيرة .

ويحاول الرسام الكبير بعمله في هذه اللوحة ان يعبر فيها عن الاحلام والاهداف الاثيرة عند جميع الناس كالسلام والسعادة .

ان الغزال يتلع رأسه نحو السماء ؛ وبجانبه فتاة تعبر ملامح وجهها وحركات يديها عن الطموح الى النور والسعادة.

وتذهب العاصفة ، ويكون المطر قد غسل الوحل . والغبار وبدت الارض نظيفة ، والسماء مشرقة ، وقوس يؤطر الارض بالوانه الساحرة ، انه رمز السلام والامان الذي يظهر دائماً بعد انقشاع العاصفة ، ومن ينظر الى هذه اللوحة ، يخيل اليه انه يوشك ان يسمع الناس الذين انتصر طموحهم وهم ينشدون في كورس ضخم :

المجد للانسان ، للسلام ، للطبيعة ، للحياة . ذلك ما يقوله واضع هذه اللوحة الذي يواصل بفنه رسالة مارتيروس ساريان المحب العظيم للحياة .

(وكالة انباء نوفوستي)

رد على مقال

الديمومة في فلسفة برغسون

دمشق - م . وليد فستق

نشرت مجلة الثقافة في عددها الماضي مقالاً للاستاذ ندره اليازجي بعنوان « الديمومة في فلسفة برغسون » لنا عليه عدة مآخذ نسوق مجملها فيما يلي :

أولاً - ثبت لنا أن المقال المنشور مأخوذ حرفياً ، كله تقريباً ، من كتاب الدكتور ابراهيم (برغسون - فصل نظرية الديمومة ، ونضرب على ذلك بعض الأمثلة :

آ ورد في المقال « حياتنا النفسية تغير كيفي محض ، وديمومة مستمرة لاتعرف التجانس ، وظواهر متداخلة لاتقبل الانقسام ، وحرية خالقه لاتكف عن التجدد ، فالذات ليست حقيقة مكانية تقبل القياس . »

وقد وردت في الكتاب المذكور نفس التعابير في الحديث عن حياتنا النفسية فهي « تغير كيفي محض ، وديمومة مستمرة لاتعرف التجانس ، وظواهر متداخلة لاتقبل الانقسام وحرية خالقة لاتكف عن التجدد . فالذات ليست حقيقية مكانية تقبل القياس (الكتاب ص ٦٠) .

ب - وورد في المقال : « فالزمان الحي هو الذي تشعره الذات حينما تنعطف على حياتها الباطنة لكي تشاهد تعاقب احساساتها وذكرياتها ولذاتها وآلامها وأحكامها ورغباتها ... »

وقد وردت نفس التعابير في الكتاب « الزمان الحي هو الذي تشعره الذات حينما تنعطف على حياتها الباطنة لكي تشاهد تعاقب احساساتها وذكرياتها ولذاتها وآلامها وأحكامها ورغباتها ... (الكتاب ص ٦٦) .

وهكذا بقية المقال تقريباً .. ولايمكن بحال أن نقول انها مجرد توارد خواطر بينه وبين مؤلف الكتاب ، لأنه لو حملت على هذا المحمل ، لاتفقت الأفكار دون أن تتطابق الجمل والكلمات بشكل حرفي ...

ثانياً - ولهذا السبب ، نجد في المقال اكثر من فجوة واكثر من قفزة فهو يشير ، مثلا ، في بداية المقال ، الى أن نظرية برغسون في الديمومة تذكرنا بفلسفة أفلوطين ؛ مع أن أفلوطين يذكر ليس في معرض الحديث عن الديمومة ، بل في معرض الحديث عن الحدوس والتعبير عنها بالصور ، الأمر الذي يلتقي عنده كل من الفيلسوفين .

ثالثاً - ان الكاتب عندما يتحدث عن الديمومة ، وأنها لاتعرف الكثيرة العددية بالرغم - من أنها تستلزم كثرة اخرى قوامها التداخل والاختلاف الكيفي واستحالة القياس .. يقول : ان خطأنا هو أننا لانتفهم جيداً فكرة « الكثرة الاخرى » فنفكر في الاضافة فقط . والاضافة تؤدي الى النظرية الارتباطية .

فهو من جهة أولى لم يبين معنى هذه « الاضافة » التي هي اعتبار الحياة الانسانية عبارة عن سلسلة متصلة من الوحدات المتجانسة . كذلك لم يوضح من جهة أخرى ، كيف تؤدي فكرة الاضافة هذه الى النظرية الارتباطية وهذه فجوة كبيرة في المقال .

وبيان ذلك أن « اصحاب النظرية الارتباطية حاولوا أن يركبوا الحيـــاة النفسية بمجموعة من الحالات البسيطة والظواهر الأولية ، كأن الديمومة مجرد إضافـــة حالات وتلاصق ظواهر » .

رابعاً - أما المأخذ الرابع فهو يتعلق بفكرة الزمان. فبعد أن ذكر الكاتب أن الزمان عند برغسون يقسم الى قسمين : الزمان الآلي المتجانس ، والزمان الحقيقي . قال « ونحن نخلط بينهما لأننا نفهم فكرة المكان والامتداد في صميم فكرة الزمان » وهذا غلط .

ان الكتاب يذكر أن برغسون يعتقد أن الزمان الآلي المتجانس ان هو الا نتيجة لإقحام فكرة المكان أو الامتداد في صميم فكرة الزمان ، فاذن هذه الفكرة هي سبب القول بالزمان الآلي وليست سبباً للخلط بين الزمانين كما ذكر الكاتب في مقاله .

خامساً - ثم ان الكاتب عندما يذكر في مقاله أن حدس الديمومة يقود الى التطور الخـــلاق عند برغسون ، يذكر ذلك دون أي ايضاح أو تبرير ..

والواقع ان اعتقاد برغسون بأن جوهر الوجود بأسره هو الديمومة والتغير والصيرورة ، وبأن الديمومة إنما تعبر في وجودها عن نمو الكائن الحي وصيرورته ، هو الذي يقود برغسون الى الاعتقـــاد بأن التطور هو « استمرار حقيقي الماضي في الحاضر ، وديمومة حية هي بمثابة همزة الوصل بين الماضي والمستقبل » .. كل هذا وغيره يجب توضيحه عندما نقول ان نظرية الديمومة تقود الى القول بنظرية التطور الخالق.

وصفوة القول ، ان مقالاً كالمقال المنشور حول ديمومة برغسون ، منقول من مصدر دون ذكر اسمه ، ومع وجود كثير من القفزات والفجوات ، يجعل إعطاءه قيمـة أيجابية أمراً محالاً ، لأنه خلو من أي جهد شخصي بحت ؛ بل ويجعل من العسير ان يفهم القـارىء الديمومة عند برغسون فهماً جيداً وواضحاً .

- دمشق -

وليد فستق



الشوق والباحثون عن الواحات

شعر : عادل قره‌شولي

النوم أثقل أجفن السمار   وظللت سهرانا مع القيثار
يا صرختي دوري على أحبابنا   ولتوقظي من نام من سماري
قولي لهم مازال عندي كلمة   تهتز في أرجوحة الأوتار
الوحشة الصماء ينهش صرفها   إذ تبعث الأشواق في أغواري
ما السر في هذا العذاب وما الذي   يختطّ في الآفاق وجه دياري
أين الزنود السمر في أحيائنا   تأتي لتمنح قوة أشعاري
داري . . أريد عناقها في عزة   وأريد لثم جبينها العطار
وأريد أن تروي اليّ حكاية   واريد أن أحكي لها أخباري
وأريد ضم رجالها وجبالها   فأنا أموت . . أموت دون داري

★ ★ ★

يا إخوتي الأحرار إني ممتط   مازلت ظهر جوادي المغوار
أفقي مضاربكم ورعشة ضوئكم   وتدفق الخيرات كالأنهار
أنا في الصحارى باحث عن واحة   والرمل حولي قطعة من نار
وتطاول الكثبان يفتح هوة   للحزن في صدر الجواد العاري
من ذا يمد الضوء فوق دروبنا   ويحيل واحات رمال قفاري
من يبتني ناي الرياح بمصنع   لغبارنا ، ودخاننا المـوار
من يحفر الينبوع في أحجارنا   كي تزهر الأوراد في الأحجار
لا . . ليس من يبكي ويشكو في الدجى   بل زند ذاك المارد الجبار
زند الذين يغمسون طعامهم   بالجهد عبر النار والاعصار
وطني الزنود السمر في إصرارها   هي بسمة الاحرار للأحرار
هي أرضنا الظمأى وغيمة خيرنا   إن حان وقت تدفق الأمطار

أنا عابد تلك السواعد تبتني
هي وحدها ان هز يأس أضلعي

★ ★ ★

ياإخوتي الماضون عبر رمالكم
لم تنثر الاحقاد فوق رؤوسكم
لم هذه الكثبان بين صفوفكم
هل صار تاريخ النضال تجمداً
والارض راقدة على قمم الدجى
أنا أعرف التاريخ نهراً جارياً
لم لانرص صفوفنا في موكب
إن السراب لساخر بخيولنا

★ ★ ★

قسماً بداري ، بالجبال ، بأرضنا
بأبي ، وأهلي ، والزنود جميعها
إمّا رجعت الى بلادى في غد
وسأحضر الينبوع في أحجارنا
وسأبتني ناى الرياح لمصنع
وطني الزنود السمر في اصرارها
أنا قلب شعبي ، فكره ، ولسانه

★ ★ ★

أشتاق ياوطني الحبيب فأعطني
امدد يديك اليّ .. هيا ضمني
أنا ان براني الحزن لست بيائس

اصغارنا الواحات في إصرار
تأتى لتمنح قوة أشعاري

★ ★ ★

والخمر في المقهى يد الأقدار
ويباع حب القلب مثل خضار ؟
لم تشبك الأظفار بالأظفار ؟
والماء ذات الماء في الأنهار ؟
والشمس دائرة بدون مدار
هل عاد للينبوع نهر جاري ؟!
يلوي بقدرته يد الأقدار ؟!
والرمل مجدول بنكهته عار !

★ ★ ★

بحنيننا ، بتفتح الأزهار
وبثورتي ، وصلابة الثوار
سأصون والاحرار أرض دياري
كي تزهر الأوراد في الأحجار
لتصير واحات رمال قفاري
وعروقها الأوتار في قيثاري
لعيونه أشدو أنا أشعاري

★ ★ ★

أملأ بلثم جبينك المعطار
لأرود حلمة صدرك المدرار
فالحزن باب سعادة الأحرار

تسفيكاو بألمانيا ١٩٦٥

كتب وقراء

الساعة الخامسة والعشرون

تاليف : كونستانتان جورجيو

تقديم : ناشد سعيد

- قصــة الانسان الآلة ، في الحضارتين : الغربية والشرقية !
- قصة الانسان الذي يحيله النظــام اللاإنساني الى مجرد رقم
- أيوهان موريتز : ضياع ثلاثة عشر عاماً بسبب نزوة دركي !
- قصة الأرانب البيضاء ، والساعات الست التي يعيشها العــالم

★ ★ ★

.. نادراً مانالت رواية من الروايات ، الاهــتمام البالغ الذي نالته رواية الكاتب الروماني كونستانتان جورجيو ، (الساعة الخامسة والعشرون) .

فعلى مستوى المثقــفين ، في جميع ارجاء العالم ، وبمعسكرية الشرقي والغربي ، تدووات هذه الرواية كأثر فني تجاوز حد الروعة ، لما تضمنته في احداث ووقائع تدين الحضارتين الآتتين في هذا القرن : الحضــارة الرأسمالية (الغربية) التي وصفها بالوحش الآلى .

والحضاره الاشتراكية (الشرقية) التي ،صفهابالوحش الآلي المفترس ! واللتين أصبح الانسان بموجبها ، مجرد رقم من الارقام ، لحجرة الشطرنج نفسها قيمة أكبر مما له ،فهي على الاقل ، تحتل مكاناً لها ، بينما أصبح انسان (جورجيو) بلا مكان ! ولولا استحالة استمرار الحياة خارج حــدود الزمان ، لكان هذا الانسان التعيس ، بـلا زمان أيضاً ، لأنه بلا عمر !

ليس شيئاً سهلًا تلخيص هذه الرواية ، ليس لأن ذلك غير ممكن ، بل لأن الرواية لاتتناول « الاحداث » بقدر ما تحلل مشاعر « الانسان » حيالهــا . الاحداث نفسها بسيطة ، عاديه ، لاتتعدى « انتقــال » بطلها « أيوهان موريتز » من معسكر اعتقال الى آخر ، ومن أرض دولة الى أرض دولة اخرى . ولكن لا كيفية هذا الانتقــال ودواعيه هي المهمة ، ذلك أنه لم يكن مجرد انتقال مكاني، يقوم به الجسد المادي ، بل كان انتقالاً من عالم الى عالم ،من عالم سيء الى عالم أسوأ ، ثم الى عالم أشد سوءاً ، و المؤس في هذا الأمر ، كون ايوهان موريتز « يظن » أنه إنمــا يسعى الى الاحسن ! عندما يهرب من هذا المكان الى ذاك، ومن يد هذه السلطة إلى تلك !

. . ثلاثة عشر عاماً من الشقاء والتشرد والمعتقلات بعيداً عن موطنه ، وبعيــداً عن زوجته ، وبعيداً عن انسانيته ! والسبب ؟ . من يصدق أن سبب هذا كله هو « نزوة » دركي ، اشتهى زوجته ، فأراد ابعاد « أيوهان » عنها لبضعة أيام ، يحاول معها علّها ترضخ . وتكون النتيجة، أن السبب الذي ابعد أيوهان موريتز »من أجله ، لم يتحقق، ولم يتوصل الدركي الى ما كان يبغي ، بينما غدا هو ألعوبة في يد « حضارة » القرن العشرين ، فتتداوله الآلات الميكانيكية و « الادوات البشرية » لتسحقه في النهاية ، دون أن يعرف المسكين ، كيف بدأت البداية (ولا كيف انتهت النهاية !

يبدأ الفصل الاول ، باستعداد « أيوهان مويتز » وعزمه على السفر الى أمريكا للعمل وتوفير بعض النقود ، ليعود ويشتري أرضاً في قريته « فانتانا » الرومانية ، ومن ثم ليتزوج من حبيبته « سوزانا » التي سألته : (عما اذا كان لن يذبل ويسقم إذا ابتعد عن تلك القرية ! فيجيبها : بأنه رجل ! وأن النساء وحدهن يذبلن !

وقبيل سفره ، يذهب « موريتز » الى القروي الذي سيبتاع أرضه ، فيسأله عن العربون الذي يجب أن يدفعه حتى لايبيع الارض الى سواه ، فيسأله القروي :

– كم من الوقت تمضي هناك ؟

– عامين أو ثلاثة ، بينما احصل على مايكفيني .

– نعم ! ان ثلاث سنين كافية ، ولم أر من قبل شاباً ، مكث فيها اكثر من هذا الوقت ، لان المرء يكسب المال بسهولة في أمريكا .

سأل موريتز :

– كم تريد عربوناً على الثمن ؟

– لست في حاجة الى المال ، اذا عدت خلال ثلاث سنين ، بمبلغ خمسين ألف « لي » فإنك ستحصل على حقلي ، الذي لن ابيعه لأحد . سوف انتظر أوبتك غير أن موريتز . أخرج من جيب سرواله ، رزمة من الأوراق النقدية راح يعدها على عتبة المسكن ، ثم قال :

– هاك ثلاثة آلاف « لي » من الخير أن أدفع لك عربوناً

الا أنه عدل عن السفر ، وعدل عن الارض ، لأن المرأة التي يحبها ، كانت في حاجة اليه ، وما كان يستطيع التخلي عنها ، إذ أنه عند توصيله « سوزانا » الى البيت ، رأيا والدها يضرب أمها ضرباً مبرحاً ، فأيقنت سوزانا بأنه سيقتلها حالما يراها ، وقد سبق أن اعترفت لأيوهان ، بأن والدها يشك بها ، وسبق له أن نعتها بقوله : (أيتها الحقيرة !) وبعد أن يهرب موريتز بسوزانا ويخفيها عن اعين أبيها ، يحمل (أيورغو أيوروان) والد سوزانا زوجته الى المستشفى ، ثم تموت هناك ، فيعلق المحقق على قتل أيورغو لزوجته قائلاً : (انها البربرية ! هذا هو خطأ أيورغوا يوردان الوحيد ! انه ككل البرابرة ، يمقت البشر ، حتى يبلغ به المقت حد افنائه . إن أي قانون في العالم ، لايمكن أن يعاقب المرء على بربريته ، رغم أن كل الجرائم الاخرى ، تنتج عنها . ان البربرية لاتعتبر غير قانونية ، إلا في مناسبات محدودة جداً ، ومبينة .

وطبيعي ان هذا الحكم ، لايقصد به أيورغو ايوردان وحده فقط ، بل انه سيعمم حكمه هذا ، على كل الاعمال البربرية التي سيلقاها أيوهان موريتز في المستقبل !

وعندما يسأل وكيل النيابة ، تريان كوروغا ابن الكاهن الكسندرو كوروغا الذي التجأ اليه ايوهان موريتز وسوزانا ، قائلاً بعد مناقشة طويلة :

– اننا سنموت إذن مغلولين مكبلين .

يجيبه بقوله :

– في رايي أننا سنموت في أغلال العبيد الآليين . وستكون روايتي ، كتاب هذه الخاتمة .

– ماهو عنوانها ؟

قال تريان :

– الساعة الخامسة والعشرون . اللحظة التي تكون فيها كل محاولة للانقاذ عديمة الجدوى ، بل ان قيام مسيح لن يجدي فتيلاً . انها ليست الساعة الاخيرة ، بل هي ساعة بعد الساعة الاخيرة . ساعة المجتمع الغربي ، انها الساعة الحاضرة .. الساعة الدقيقة المضبوطة .

ثم يسأل وكيل النيابة ، الكاهن قائلاً . .

– يا أبانا . إذا تحققت نبوءات تريان ، وكان الانسان مقضياً عليه أن يعامل كالرقيق ، فهل تستطيع الكنيسة ، عمل شيء في مصلحة المجتمع الحاضر ؟ إذا كانت الكنيسة ، تعجز عن انقاذ المخلوق البشري ، في هذه الساعات الحرجة ، فماذا ستكون مهمتها عندئذ ؟ .

فكر الكاهن الكسندرو كوروغا فترة ثم قال :

– إن الكنيسة لاتستطيع حماية المجتمعات ، بل انها تضمن سلام الاشخاص الذين تتألف منهم تلك المجتمعات !

وتمشياً مع ايمان الكاهن بهذا ، من ان الكنيسة تضمن سلام الاشخاص الذين تتألف منهم تلك المجتمعات ، فقد

استقبل في بيته أيوهان موريتز وسوزانا وزوجها وتبرع لهما ابنه تريان بثمن البيت والارض . وقال تريان فيما بينه وبين نفسه بهذه المناسبة : « لقد صدرت عن الله نفسه تصرفات غير ذات نفع كبير عند بدء الخليقة . لقد اوجد أشياء غير ذات نفع عملي لكنها أجمل ما أوجد وخلق . ان وجود الانسان وخلقه عديم الجدوى . انه غريب غرابة تصرفي ووالدي في هذه اللحظة . غير أنه رغم عقم فائدته - تصرف لايمكن أن يضاهن في روعته !

وقصة ايوهان موريتز تبدأ في هذه اللحظة . لحظة يمر الدركي ببيته ويرى سوزانا تجبل طيناً في باحة المنزل، فيسألها:

- لماذا تصنعين قرميداً ؟ لقد اكتمل بناء المنزل ؟

كان يريد الدخول الى الباحة ، لولا أن بابها كان مغلقاً بالمفتاح . قالت المرأة :

- اننا نبني زريبة للبقر .

واستمرت تجبل الطين بأقدامها ، بينما راح الدركي ، يتأمل فخذيها العاريين الأبيضين . سألها :

- هل رجلك هنا ؟

فأجابت ضاحكة :

- ان « إياني » في الطاحون

- ألا تفتحين لي ؟

- إن مكانك مناسب .

- انني لاأراك وحيدة أبداً ، والآن يتغيب زوجك ، فترفضين أن تفتحي الباب ؟

قالت :

- هذا ماينبغي أن أعمله ! بل إنني انبهك ، الى ان وقوفك بالباب قد طال . سر في طريقك ودعني بأمان .

- هل كنت ستفتحين لي الباب ، لو لم تكوني بانتظار زوجك ؟

- انك تشتط في السؤال !

وبعد اسبوع من هذه الحادثة ، قرع الدركي باب أيوهان موريتز ، وسلمه ورقه ، فسألته سوزانا :

- ماذا في هذه الورقة ؟

- انه أمر تستخبر . سأرى بعد تناول الطعام ، ماذا تطلب منا الدوله من جديد .

وفي مخفر الدرك ، قرأ وكيل الضابط النسخة الثانية من التقرير الذي أرسله ذلك الصباح الى الثكنة مع الجندي الذى رافقه السجينين ، (نتشرف بإرسال الشخصين ماركو غولدنبرغ ، الدكتور في الحقوق ، وله من العمر ثلاثون عاماً ، وموريتز ايون ، مزارع وعمره خمسة وعشرون عاماً ، اللذين يشملهما القانون ، وفقاً لأوامركم السابقة ، المتعلقة بمصادرة كل اليهود ، والأشخاص المشبوهين في منطقتنا ، وارسالهم مخفورين الى معسكرات العمل .

لجأ وكيل الضابط الى هذا الابعاد ايوهان موريتز عن زوجته ليراودها . عن نفسها ، ولكنه مالبث أن عاد حانقاً غاضباً ، وود لو يمزق تقريره الكاذب هذا ، لأنه لم يؤد الغاية المرجوة منه ، لقد رفضت سوزانا ، رغم أنها اصبحت وحيدة ، أن تستقبله كما كان يأمل . فلما حاول اغتصاب الباب ، حملت فأساً ، ورفعته فوق رأسه ، مهددة بتحطيم رأسه ، إذا اجتاز العتبة !

كان الدركي وكيل الضابط ، يأمل من وراء تقريره ، ابعاد أيوهان موريتز عن بيته وزوجته لبضعة أيام ، ريثما يتوصل المحققون الى أن أيوهان موريتز لم يكن يهودياً ، فيطلقون سراحه ، بينما يكون هو قد قضى لبانته في في سوزانا ! ! ولكن الامور تجري بغير مارتب لها ، فلا هو توصل الى سوزانا ، ولا أيوهان موريتز عاد ، لان أحداً لم يعد يحفل بما اذا كان يهوديا أو مسيحياً ، وقد تسلمته « السلطة » وقادته من معسكر الى معسكر . اذا هرب من معسكر اليهود الى دولة مجاورة لاتعتقل اليهود ، اعتبروه جاسوساً رومانياً وأجروا عليه شتى أنواع التعذيب .

وان هذه المرحلة من حياة أيوهان موريتز ، هي القصة كلها ، والتي لايمكن تلخيصها بجمال ، إلا أن تريان كوروغا ، ابن الكاهن الكسندر كوروغا ، يكون قد وصل في روايته « الساعة الخامسة والعشرون » الساعات الست الحاسمة من حياة العالم ، والتي كان أيوهان موريتز يحياها حقيقة ، فيقصها على زوجته نورا :

– لقد قمت مرة بجولة بحرية في جوف غواصة ، ومكثت تحت الماء حوالي الف ساعة . ان في الغواصات جهازاً خاصاً ، ينبيء بالوقت المعين اللازم لتجديد الهواء .

أما من قبـل ، فان الغواصات لم تكن تعرف ذلك الجهاز بعد . لذلك فقد كان البحارة ، يصحبون معهم عدداً من الارانب البيضاء ، الى جوف الغواصـة . فاذا تسمم الهواء ، ماتت الارانب . فيعرف البحارة أن لديهم خمس ساعات يحيون خلالها ؛ قبـل أن يسقطوا بدورهم ؛ فريسة للاختناق . فكان على قائد الغواصة في تلك اللحظة ؛ أن يتخذ القرار الحاسم ؛ إما بالصعود إلى سطح الماء ببذل جهد اليائسين ؛ واما بالبقاء في الاعماق والموت مع البحارة كلهم. وقد جرت العـادة ؛ اثر اتخاذ القرار الثاني ؛ على أن يقتل البحارة بعضهم بعضاً ؛ بطلقات المسدسات . « وفي الغواصة التي كنت معجراً فيها ؛ لم يكن أرانب هناك بيضاء ؛ بل اجهزة تقوم مقامها . وقد لاحظ القبطـان ؛ أنني أتحسس نقص مولد الحموضة ؛ فكان يسخر من حساسيتي ؛ لكنه لم يعـد يركن الى أجهزة الغواصة ؛ لاني كنت دائمـاً أدله على الوقت الذي ينقص فيه الهواء ؛ وكان يكفيه أن يلقي علي نظرة واحدة ؛ ثم يستشير آلته ؛ فيجد أن دقتي مدهشة .

« انها موهبة نملكها نحن : الأرانب البيضاء وأنا ، نشعر بدنو الخطر قبل أن يشعر به البشر بست ساعات ، ونحس بأن الجو بات لايصلح للتنفس . اني أشعر منـذ زمن ما ، بمثل ذلك الشعور الذي كنت أعلن عنه ، عندما كنت على ظهر الغواصة . ان الجو قد بات خانقاً .

سألته نورا . .

– أي جو تقصد ؟

– الجو الذي يعيش فيه المجتمع الحاضر . ان الكائن البشري لن يستطيع احتماله . ان البيروقراطية ، والجيش والحكومة والتنظيم الحكومي والادارة ، كل هذه الاشياء تساهم في تسميم الجو ، ليختنق الانسان . إن المجتمع الحاضر يستخدم الآلات والرقيق العنصري ، لقد خلق من أجلها ، ولكن الانسان محكوم عليه بالاختناق . غير أن بني الانسان لا يشعرون بذلك . انهم يصرون على أن كل شيء طبيعي ، كما كان في السابق . ان رجال الغواصـة الذين كنت بينهم كانوا امهم أيضاً ، يناضـلون ويقاومون الجو المسموم ، انهم كانوا يعيشون ست ساعات بعـد موت الأرانب البيضاء . لكنني أنا ، أعرف أن كل شيء قد انتهى .

– أهذا هو موضوع روايتك !

لقد وصفت في روايتي ، الطريقة التي يموت بهـا رجال هـذه الأرض الذين يحيون في عذاب مريع قاتل ، تخنقهم الأجواء غير الصالحة للحياة . ولما كنت لا أستطيع أخذ كل الكائنات الحية ابطالا لقصتي ، فقد انتخبت عشرة اشخاص ، اعرفهم أكثر من سواهم .

– وهل سيموت هؤلاء الاشخاص العشرة ؟

– بعد موت الأرانب البيضـاء . لن يستطيع بنو الانسان الحياة أكثر من ست ساعات على الأكثر . إن روايتي نصف هذه الساعات الست ، في حياة افضل اصدقائي.

– وماذا كتبت حتى الآن ؟

– الفصل الأول فحسب . إن واحداً من الاشخاص العشرة قد انتزع من بيننا و . .

– ماذا حدث له ؟

– لقد سلبوا منه حريته وزوجته وأولاده وبيته في الوقت الحاضر . . لقد عذب وأهين وضرب ، لقد بدأوا يخلعون أسنانه واضراسه . سوف يفقأون عيونه قريباً ، ويسلخون الجلد الذي التصق بعظامه . ولسوف تتحطم تلك العظام . إن الآلام والأوجاع الاخيرة ، ستنزل به بطريقة آلية او كهربائية .

سألت نورا بذعر :

– هل وقع كل هذا ؛ فأجاب تريان .

– ان كل هذا صحيح . لقد سجلت في روايتي ، اسم الشارع والمدينة والبلد الذي يقطن فيه اشخاصي ، لقد أعلنت أرقام هواتفهم . إنك انت كذلك ، تعرفين الشخص الأول في روايتي . إنك تستطيعين بحث الحوادث التي سردتها لك للتو ، ومقارنتها مع الحقائق لتتأكدي من صحتها :

– من هو هذا الشخص الذي تتحدث عنه ؟

– انه أيوهان مورتيز !

★ ★ ★

لقد لبث غائباً عن بيته ثلاثة عشر عاماً .

« لقد كنت عام ١٩٣٨ في معسكر لليهود في رومانيا ثم في معسكر للرومانيين في هنغاريا عام ١٩٤٠ . وانتقلت عام ١٩٤١ الى معسكر للهنغاريين في ألمانيا ثم الى معسكر امريكي عام ١٩٤٥ . وقد اطلق سراحي أول امس من معسكر داشو ،لقد امضيت ثلاثة عشر عاماً في المعسكرات لم تمنح لي حريتي الا ثماني عشرة ساعة فحسب ، وبعدهـــا جائروا بي الى هنا ! »

وكان قبل ذلك قد تلقى رسالة من زوجته قالت فيها !

عزيزي إيباني .

لعلك تظن اني مت . اذ مضى علينـا زمن طويل لم يتلق أحدنا أنباء عن الآخر . لقد ظننت مراراً خلال الاعوام التسع الماضية أنك مت وأردت أن استقريء صلوات عن روحك في الكنيسة كما يجب أن يكون الحال نحو الموتى . ولكني كنت دائماً في اللحظة الاخيرة أعدل عن رأيي .

ان عندي أشياء كثيرة اقصها عليك اذ أن كثيراً من الأمور قد وقع خلال السنوات التسع التي انقضت . ولكن لايوجد في رسالتي متسع لأقص عليك كل شيء .

لقد أخبرني أهل القرية بأنهم ،رؤوك يسوقك الدركي متنكباً بندقيته لكنني لم اصدقهم لأني كنت أعرف أنك لست مذنباً . ولذلك فلا يجوز سجنك دون ذنب وسوقك كالمجرمين في حراسة الحراب .

وذات يوم جميل ، وكان ذلك قبل حلول عيد العنصرة الثاني ، جاءني الدركي معلنـاً انك يهودي وانهم سيأخدون البيت مني . وأبلغني أنني اذا شئت الاحتفاظ بالبيت والبقاء فيه مع الاطفال ، فليس علي الا ان اوقع ورقة ، ورقـة طـــلاق « فوقعت ولكني لم اطلقك ، بل لبثت انتظرك كسابق العهد .

ولما دخل الروس قتلوا القس توروغا مع خيرة أهل القرية وكنت أخاف ان يقبض علي الروس ويعد موتي بالرصاص لذلك فررت . غير أن الروس اوقفوني اخيراً في ألمانيا بعد انتهاء الحرب ، فلم يقتلوني رمياً بالرصاص ، بل كانوا اشفوقين علي إذ اعطوني خبزاً لأولادك وحلوى وألبسة لأنهم لم يكونوا أبناء شخص ألماني . وقد اعطوني كذلك طعاماً وألبسة لي ، وانني الآن آسفة أشد الأسف لأنني فررت من فانتا خوفاً من الروس .

وذات مساء ، قرع أحدهم النافذة ، ولما استطلعت الخبر ، وجدت أنهم جنود روسيون ،اقتحموا الباب ودخلوا البيت وراحوا يفتشون فيـه عن نساء أخريات ، وأجبرونا على أن نشرب الخمر ثم استباحونا ولبثوا في مضاجعنـا حتى حتى الفجر . ولقد صبوا في فمي عرقـاً لأني رفضت تناول الشراب . اغفر لي ياعزيزي إيباني اذا كنت اقص عليك كل هذا لأنني لا أريد ان أخفي عنك شيئاً .

ولقد فررت الى الغرب فراراً من الروس ، وقـد اوقفوني في الطريق وقبل ان اجتـــاز المنطقة الروسية الى المنطقة الانكليزية استبقوني على الحدود ثلاثـــة ايام كانوا لايدعونني ساعة من الليل او النهـار الا ويضاجعونني . وفي آخر مقارنة لهم معي خرجت حبلى ، لقد مضت خمسة اشهر على هذه الحادثة ، وأشعر الان بالجنين في أحشائي .

« انني أسألك رأيك فيما يجب ان اعمل ، اكتب لي إذا كنت لازلت تعتبرني زوجتك بعد كل ماحدث ،واذا كنت تقبل بعد كل هذا أن تعود إلي . »

★ ★ ★

وتتوضح المهزلة الانسانية تماماً في الصفحات الاخيرة من الكتاب ، عندما يساق ايوهان موريتز واسرته للتطوع في صفوف الغرب الذي اخـــذ يدعي الدفاع عن المدينة والحرية والديمقراطية . حيث يلتفت الملازم ليويس ،الى نورا مساعدته ويقول :

— حسناً امنحيهم التسهيل اللازم ، سوف التقط صورة لهم لتنشر في الصحف .

ثم يقترب من أصغر الاطفال فيداعبه قائلا لسوزانا :

— إنه هو الآخر ، ضد الروس ، أليس كذلك !..

وتطرق سوزانا بعينيها ، ثم تفكر في انها يجب أن تقول شيئاً :

— نعم ... انه هو الآخر ضد الروس !

كانت تخشى أن يسمع أيوهان موريتز قولها ، وسمعها يوهان موريتز فعضت على شفتيها ! وكأنها تقول :

كيف سيكون الطفل ضد الروس ، وأبوه واحد منهم !

ن . س

في البدء كان الصمت

شعر : علي الجندي

دراسة وتحليل نزار داغستاني

... أكثر الشعراء اليوم أصبحوا ينظمون القصيدة الطويلة ، التي يصورون فيها مرحلة معينة من تجاربهم ليبرز في هذه المرحلة صدق التجربة وعمقها ، بأسلوب فكري بحت ، لكن هذه التجارب تقدم الينا ، مضطربة مفككة غير مترابطة أو واضحة المعالم ، والسبب في ذلك أن القصيدة الطويلة – كما اعتقد – لا تتناسب مع نفس يتمزق في صدر إنسان العصر ، ويجد القارىء صعوبة ليستمتع مع الوجبة الشعرية المقدمة اليه بشكل سيمفوني . وهي بالواقع ، صور وافكار غير متلاحمة أو مترابطة ، مشتتة ، وتكون مهمته أي القاريء – صعبة جداً إذ عليه أن يتفهم الافكار والصور التي لم يستطع أن يعبر عنها الشاعر بشكل أصيل ، وعليه أن يجد الخط الفكري والحضاري لمنحى القصيدة ، وأن يحدد ابعادها ، وإلا فانه بنظر السادة الشعراء ليس بمستوى القصيدة الفكري مع ان اكثر الشعر الذي يقدم اليوم غير محدود المعالم ، انه يبرز تجربة مفتعلة غير واضحة المعالم ، مليء بالصور العمياء ، ويكون القارىء قد حصل على شعر فج ليس له لون أو طعم أو رائحة .

... بين يدي الآن ديوان جديد لعلي الجندي الذي اصبح الآن صاحب « دواوين » اسم الديوان في البدء كان الصمت » والشاعر لايزال يدور في مدار ديوانه الاول « الراية المنكسة » يبحث مشكلة الانسان الضائع وسط المدينة انسان غريب في بلده ، غريب بين اهله ، يبحث عن شيء لايستطيع العثور عليه ، والمحير ان الشاعر الذي يتحدث عن هذا الضياع يجلس بأرتياح ، ويثرثر بطلاقة ، منقطعة النظير عدة ساعات وسط آخر المدنية الحديثة المنسجم معها . وبنفس الوقت يطالب بالعودة الى بداءة القرية ، يريد الصحراء يبحث عن ارضه القديمة ذات الري والخصب ، اتخيله « اوديسيوس » وقد ركب جملاً يبحث عن جنته المفقودة .

.. . ما الذي تبحث عنه
في النفايات الحزينة
سكنت في برجك المظلم احداث المدينة
هدات في صدرك المرهق ارواح السكينه
فترحل ، عد الى جنتك الصحراء
واستوح فتونه

... هذا الانسان الذي هجر القرية الى المدينة ، لم يفقد انفعاله بجمال قريته البسيط ، الارض خيرة ، الا انه يضل ، يلوب ، يفقد مشاعره في دروب المدينة ، يرتمي في في دوامة من الانفعالات المتناقضة ؛ يريد أن يرتد الى ارضه الاولى ؛ لكنه لن يعرفها الآن فقد تغيرت ؛ لم تعد كما كانت عندما احبها .

... وعالم الشقائق الموفورة الندى
تحجرت طيوبة على رفات السيد الحزين
تحضن من رفاته نقاوة العيون
وفي مكان عرشه المشيد بالهوى
تولول الرياح . امتلا الفراغ بالصدى
... وتولت غابة الالوان عنى
شبح رأس الطائر المنفي في عش الرياح
زال عهد الشعر
الاشياء الجميلة فقدت جمالها ، الشاعر ، لم يعد ينفعل ببهرجة المدينة ، إنه لايرى الاجانبها الأسود ، بشاعتها ، انه يخاف المدينة بحقد ، لذلك فانه يكرهها بحقد عليها ويتخيلها

محطمة مربوءة .

... مملكة لليوم ، جيرانها

الغربان والفئران ، والملك غول

عرشت الافعى على صدرها

فرخ في محجرها المستحيل

... ومعبد القار بلا كاهنات

حتى رماد النار لم يبق من ،

آثاره بقية للحياة .

بجو عدمي يصور لنا علي الجندي انفعـالا ، بشعر معدوم الموسيقى وكلمات عادية ، لا تثير حولها الظلال .. . يتعب لينقلنا إلى اجواء جديدة ، يريد حلاً لقضيته ، المشكلة التي أقضت مضجعه ، ومضاجع الكثيرين ، وبينما هـو في بحثه مع ابطاله الخياليين الذين سيعودون به للبداءة إذا بـه يجد فجأة حلاً لمشكلة جديدة ، يجد خلاصاً ، طريقاً مميتاً للخلاص ، وجده الشاعر .

... نعمة هذا الجسد

ليتكم تدرون مافي الجسد المحموم

من دنيا جميلة

إنه فجر ، ربيع واله وطفوله

لو تأملتم ثناياه ، تنعمتم به ،

نلتم ثماره

لكنة يعود فيناقض نفسه ويرفض هذا الخلاص :

... أنت تمثال من النار ، قطار بربري

أنت ذكرى للخطيئة

عندما يهتك عنه الثوب

ينهد على صدر مريز في عياء

... لاتقارب أرضنا

وترحل دون كلمة

أنت موبوء جميل

ايها الشاهق في وجه أمانينا ترحل

ان شعر علي الجنـدي ليس آلياً أو خشناً ، لأنه له وجهة انسانية فوضوية ، يريد شيئاً ما من وطنه من مجتمعه من الناس حوله ، لكن غضبته على هؤلاء تبقي بعيدة رغم أن شعوره بمأساته اليومية واضـح ، ويظهر أحياناً وكأنه يفتقر الى العمق . ان علي الجندي ينظم كما لو أن شخصيته الواعية لاتدرك دوافعه اللاواعيه ولا تسيرها تسييرا كلياً .

... أخيراً ، لقد أهمل الشاعر ببحثه لب اللوزة ومنح بعضاً من قشرتها ، ان اكثر المعاناة كانت من رغبة عادية بالاقتران . لكن الجذور الممتدة قرب السطح تجف وتموت . والبعض منها فقط يشق أغوار التربة ليخترق غشاء اللقاح المادى ؛ ان فى بعض احساسات الشاعر اجتراراً . وتكرارا مميتاً ؛ لكن دائماً في آخر الممرات المنحنية كهوف مظلمة تشتاق الى النـور ليطهرها من نسيج الغيابـة والاغتراب ؛ لتنظر الى حديقة أغتنت « مبايضها » بالطلع والمدقة الحبلى تبشر بزوال قريب والازهار التي تبدو عقيمة تنشر عبقاً فريداً أخيراً ان الدوار الممل الذي القانا به علي الجندي ليس لذاته ؛ انه بشير منفذ يغور الى الاعماق لكـنـي آسف على الاحلام والآلام التي بقيت منزوية متفردة بدون أن نستطيع فهمها ؛ انها لاتلقى من الآخرين — تشجيعاً ؛ وكل ما هنالك أن اليراعات الخداعة تجذبهم تجذب انظار المتفرجـين الى بهلوان وقع في مأذق

نزار داغستاني

كارنا وكونتي

لطاغور

ترجمة : نويل عبد الاحد

(كارنا .. ثمرة حب الملكة باندا فاكونتي قبل زواجها .. وقد اصبح عندما بلغ سن الرجولة قائد جيش «كورافا» بعد ان كانت الملكة قد هجرته وتخلت عنه ، خشيته ان يلحق بها العار . فتبناه «اوهيراتا» صاحب عربة وعهد اليه بتربيته)

كارنا ـ كارنا أنا .. ابن ادهيراتا ، صاحب العربة ..
هنا أجلس ، قرب شاطيء الجانج المقدس ، كيما
أقدم عبادتي للشمس وهي تغيب ..
وانت من تكونين ؟ قولي ! !

كونتي ـ أنا أول من جعلك يتعرف على ذلك الضوء الذي
تقدم له عبادتك الآن ..

كارنا ـ أكاد لا أفهم ..
لكن عيناك تذيبان قلبي ، كما تذيب قبلة الشمس
ثلوج أعالي القمم .. وصوتك ، يبعث في داخلي ،
أمواج حزن عميق .. . قد لا يكون في ذاكرتي
الان اية طاقة ، لاحياء تلك الذكريات ..
اي سر يربط بين ولادتي وبينك يا امرأة غريبة؟!!

كونتي ـ صبراً يابني .. . لابد انك عارف ، عندما
تطبق أجفان الظلمة على أعين النهار الملاوصة ..
ولتعلم ، الآن ، باني كونتي ..

كارنا ـ كونتي ! ! أم أرجونا ؟

كونتي ـ بلى .. حقاً .. ام أرجونا .. خصمك ..
لكن لا تكرهني لهذا السبب .. فأنا لا أزال
اذكر مناورة السلاح في «هاشينا» وانت لما
تزل غلاماً يافعاً مجهولاً .. وقد اقتحمت الساحة
بشجاعة وبأس كما تقتحم اشعة الفجر الاولى ،
نجوم الليل ..
آه .. من تكون تلك التي قبلت عيناها جسدك
العاري النحيل .. ودموعها الطافحة تغسلك ..
وقد جلست مع نسوة «البيت الملكي» خلف الستر
المزركشة ..
علام ، أم أرجونا ؟
ومن ثم تقدم البرهمي ـ سيد السلاح ـ صائحاً
«ولا يسمح لمن كان من مولد وضيع مبارزة «أرجونا»
اذ ذاك لفت بالصمت المفاجيء .. كرعد برق مقموع
هديره ، لم تتم ولادته ..
لكن من تكون ذات القلب الذي مسه عارك
وغضبك .. فاشتعل في سكون ؟ . أم أرجونا ؟
طوبى «لاوربودها» . لانها عرفت قدرك ، فتوجتك
ملكاً على «انجا» مأخوذ بمثل هذا النجاح . انطلق أدهيراتا ،
صاحب العربة بين الجموع .. فسعيت أنت وراءه واضعاً
تاجك عند قدميه ، بين ضحكات الباندافاس الهازئة
وسخريات صحبهم ..
امرأة واحدة من بيت «باندافا» تألق قلبها بالفرج ..
لهذا الفخر البطولي المتضع .. ام أرجونا ؟ !

كارنا ـ اذن ما الذي حملك على المجيء الى هنا ، وحيدة ،
ياام الملوك ؟

كونتي ـ مطلبي منك ..

كارنا ـ مريني .. لك ماتشائين ..

كونتي ـ طلبي أنت .. الى هنا جئت لاصطحبك معي ..

كارنا ـ الى أين ؟

كونتي ـ الى قلب صدري العطش لحبك يابني ..

كارنا ـ ايتها الام السعيدة . . ياام ملوك خمسة . . أنى لي

بمكان تجدينه . . لمأمور حقير . . من نسب وضيع ..

كونتي ـ لمنزلتك عندي فوق منازل ابنائي الآخرين . .

كارنا ـ بأي حق ؟!!

كونتي ـ حقك المشروع . . منحة الله لمحبة امك . .

كارنا ـ كآبة المساء تنتشر على الارض كلها ..

السكون يجثم فوق المياه . .

ويعود بي صوتك الى خلف الزمان

الى عالم الطفولة الاول ، الضائع ابدد في سدفة اليقظة

وسواء لدي أكان هذا حلما أو بعض حقيقة منسية ، اقتربي

مني . . ولتمس عيناك جبهتي . .

يشاع أنها هجرتني امي . . فلكم زارتني في هـــدأة

الليالي ، في منامي . . فأصيح قلقاً

« أزيحي النقاب . . أريـــني وجهك ايتها المنسية »

فتختفي الروح . . ويتلاشى الخيال . . فأهجس لنفسي :

« ليت هـــذا الحلم يراودني في يقظتي » .

انظري الى البعيد . . الى هناك . .

حيث تضيء المصابيح خيام ابنك عبر النهر

وانظري الى الجانب الآخر . . الى هذا الجانب ..

حيث تشبه رؤوس خيام كورافاسي ، موجات عاصفة

بحرية ، وقد توقفت عن الهبوب بفعل قوه سحرية غـــير

منظورة . . قبل ضوضاء معركة الغد . . التي ستقام في

سكون هذه الساحة الرهيبة . .

لماذا يحمل لي صوت ام عدوي أرجونا رسالة امومة

مفقـــودة ؟

ولماذا يتخذ اسمي ، عندما تذكره ، شكل هـــذه

الموسيقى العذبة ، كما لو كان يجتذب اليه ولاخوته .. قلبي !!؟

كونتي ـ لاتتوانى يابني .. اسرع واصطحبني ..

كارنا ـ أجل . . سأتبع خطاك دون أن أسأل . . ومن غير

ان يتطرق الشك الى قلبي . .

ان روحي تلبي ندائك . .

ويبـــدو جهاده ـ فجأة ـ من أجل النصر والشهرة ،

وفورة الكراهية ، لاطائل له . . عدمياً أشبه ما يكون

بهذيان حلم ليلة ، في صفاء فجر وليد ..

هلا أعلمتني أنى المسير ؟

كونتي ـ الى الشاطىء الآخر من هذا النهـر . . الى حيث

تضيء تلك المصابيح رماله الشاحبة . .

كارنا ـ أفيتسنى لي أن أظل رفيق أمي الى الابد .؟

كونتي ـ اواه . . يابنى ! !

كارنا ـ لماذا اذن أقصيتني عنك .. مهملاً ومنبوذاً .. بلا

جذور وملاحقاً في اللامكان ..

ولماذا أقمت هذه الفجوة اللا قرار لها بـــين أرجونا

وبيني ؟ جاعلة من رابطة قرابتنا الطبيعية دافعاً لجاذبيـــة

كراهيتنا البغيضة تلوذين بالصمت . . ليخرق عارك هـذه

الظلمة الكثيفة .. ليبعث في اعضائي رعشات لا مرئية ..

لاتجيبي على سؤالي .. ولا توضحي لي ما الذي جعلك

تجردين ابنك من حنان امه ومحبتها . .

الكن قولي لي فقط . . علام كان قدومك في مثل

هذا اليوم وعلام كانت عودتي الى خرائب سماء ، حطمتها

يداك ؟

كونتي ـ ملاحقة بلعنات قاتلة .. اكثر قسوة من ملامتك . .

رغم ما يحيطني به من حنان ابنائي الخمسة ..

وما من حيلة لقلبي الان بغضت كامرأة سلب منها بنوها ..

وقد خلت حياتي من مسراتها .

بعد ما حل بي من شقاء كبـــير ، سبب هجران

وليدي البكر . .

في ذاك اليوم المشؤوم . . أو ان نكثت عهد أمومتي ،

لم يكن في وسعك نطق حرف واحد . .

واليـوم أراك وقد توسلت لامك المثقلة بالاحزان ،

كي تجود عليك بوابل الكلمات . .

فليحرق غفرانك قلبهـا كالنـار .. ولتستهلك خطاياه كلها . .

كارنا ـ ها دموعي اليك . . تقبيلها كهبة بسيطة . .

كونتي ـ لم آتك لاعادتك بين ذراعي . . بل لأعيد اليك حقوقك تعال . . ولتأخذ ـ لكونك ابن ملك ـ ماتستحقه من بين اخوتك

كارنا ـ اكون اكـثر صدقا لو قيل عني اني ابن صاحب العربة . . لهذا فاني ارغب عن امجاد اسلافي الاثيلة . .

كونتي ـ كن كما يجب ان تكون حقاً . .واستعد ملكك ـ حقك المشروع ـ

كارنا ـ ايتوجب عليك ان تغريـني بالملك .. انت يامن حجبت عني محبة الامومة؟ انوثاق القرابة المرهف . . بعـد أن ضربت جذوره .. لن ينمو أبداً . .
لعار علي عظيم ان ناديت ام الملوك بعد الآن « امي » . . متخلياً عن امي التي عرفتني في منزل ـ صاحب العربة ـ

كونتي ـ ما أعظمك وما أنبلك يابني . .وما اسرع ماتنمو في غموض بذرة العقوبة الوجيزة ، الى حيـاة جد هائلة . .
الطفل العاجز المهجور ، يعود من خلال ليه الحوادث المظلمة رجلا يقارع اخوته

كارنا ـ لاتجزعي ايتها الام ، اني لموقن ماينتظر الباندافاس من نصر اكيد . . ان قلبي تملؤه موسيقى مخاطرة يائسة لنهاية محتومة ، رغم ما تحمله هذه الليـلة من هدوء وسكون . . لاتطلبي مني ترك من كتبت لهم الهزيمة . . وليستعـد الباندافاس العرش . .
آنذاك سأكون سند اليائسين وعون المقهورين . .
في يوم مولدي . . تركتـني عاريا . . لاسم لي ومهاناً . . فدعيني أواجه ، مرة أخرى بلا شفقة، توقع هزيمتي المرتقبة . . والموت الهادىء . :

اعلان

صادرة عن مديرية السجل العقاري بدمشق

ادعت بدرية بنت عبد الرحمن الصباغ فقدان سندها بالعقار /٥٧/ صالحية جادة وطلبت بدلا عنه فللمعترض المراجعة خلال /١٥/ يوما النشره .

اعلان

صادر عن مديرية السجل العقاري بدمشق

ادعى حمدي محمد زكي شحادة آغا الرفاعي فقدان سنداته للعقار ١٠٤٦/١و٢و٣و٤ ميدان سلطاني وطلب بدلا عنهم فللمعترض المراجعة خلال /١٥/ يوما لنشره .

اعلان

صادر عن مديرية السجل العقاري بدمشق

ادعى محمد بدر الدين المارديني فقدان سند موكلته هدية بنت محمد البيطار بالعقار ٢٣٥ ساروجة وطلب بدلا عنه فللمعترض المراجعة خلال /١٥/ يوما لنشره .

اعلان

صادر عن مديرية السجل العقاري بدمشق

ادعت فاطمة بنت عثمان السمان فقدان سندها بالعقار /٥٠٣/ قبر عاتكة وطلبت بدلا عنه فللمعترض المراجعة خلال /١٥/ يوما لنشره .

مع أبي العتاهية

بقلم الدكتور محمد حاج

قال ابو العتاهية في الشاعر سلم الخاسر :

تعـالى الله يا سـلم بن عمرو ... أذل الحرص أعنـاق الرجال

قال سلم : ويلي ... كنز البدوز ، ويزعم أني حريص ، وأنا في ثوبي هذين.

وانتصر الجماز لخاله سلم الخاسر ، فقال في أبي العتاهية :

ما اقبح التزهيد من واعظٍ ... يزهـد الناس ولا يزهـد
لو كان في تزهيده صادقاً ... أضحى وأمسى بيتـه المسجد
يخاف أن تنفد أرزاقه ... والرزق عنـد الله لاينفـد
والرزق مقسوم على من ترى ... ينـاله الأبيـض والأسود

وضاق أبو العتاهية بهذه الأبيات ، وزعم للجماز انـه كان يمازح خاله سلم الخاسر ... بيد ان هذه الأبيات صورة نابضة لعقيدة الناس في زهد أبي العتاهية الذي أفرغ عليـه أكثر شعرة، ولاقى في سبيله الكثير من العنت بل الاضطهاد فقد حبسه هارون الرشيد، وطالت مدة الحبس ، لأنه اوعز اليه أن يقول غزلاً ، فرفض لأنه هجر كل فنون شعره التي عرف بها ليتفرغ الى قول الزهد .

وأجمع مؤرخوه على أنه كان أبخل الناس مع يساره، ورووا عنه أحاديث تضحك الثكلى للدلالة على حرصه وحبه المال ، فقد كان لديه سبع وعشرون بدرة لايأكل منها ، ولا يشرب ، ولا يزكي . . وزعموا انـه كان لا يشتري اللحم الا من عيد الى عيد .

وقيل له : أتزكي مالك ؟ فقـال : والله ما أنفق على عيالي الا من زكاة مالي . فقيل له : انما ينبغي أن تخرج زكاة مالك الى الفقراء والمساكين . فقال : لو انقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الارض أفقر منهم . وكان يعلل هذا الحرص الشديد بقوله: أخاف الفقر والحاجة الى الناس.

ومهما يكن من شيء ، فحرص أبي العتاهية على المال وكنزه لهيتنافى مع نزعة الزهد التي هدهدت شعره ، واتجه اليها بجماع عواطفه ، وغناها في صدق وحب ، وأبـدع في تلوينهـا حتى اصبح خير ممثل لها في العصر العباسي الذي تعددت فيه المنازع والأفانين ، واصبحت بغداد تعج بكل المتناقضات تجمع فضائل المدينة الكبيرة ورزائلها .

ومعاصرو أبي العتاهية كما رأينـا يتهمونه في زهده ، فليس يصدر فيه عن عاطفة حقة ، وايمان قوي ، بل هولون من الشعر تكلفه دون ان ينسجم مع عقيدته... وهم محقون في دعواهم هذه .. ولكننا مع هذا اذا قرأنا شعره ألفيناه ينبض بالصدق ، ويزخر بالعاطفة الحية ، ويحتـدم بحرارة الوجدان .. فهل معنى هذا انهم كاذبون في ادعائهم لأن الشاعر لا يكون صادقاً في شعره الا اذا صدر عن تجربة حية عاناها وعاشها .

اننا امام مشكلة . . ولكن حلها ميسور ، فاجماع معاصريه على حرصه وبعده عن الزهد الحقيقي حقيقة لامراء فيها . . ولكنه رغم هذا استطاع أن يبدع أروع شعر زهدي فكيف يتأتى له هذا الابداع والزهد الحقيقي ولم يمس شغاف قلبه؟

والواقع ان الفنان ليس بحاجة الى التجربة الصادقة ليقول الشعر الحي ... يكفي ان يتصور في وعيه ولا وعيه موضوعاته حتى تنمو خيوطها في دقة واصالة ، فأعماق الفنان كنز لاينضب يستمد منه هذه الحرارة التي تتقد في فنه ، فيبرز الى الوجود محملا بالصدق وامضاً بالاخلاص حياً قوياً وكان ابو العتاهية شاعراً موهوباً استطاع ان يصور نزعات الزهد ويصدر فيها عن صدق ، وان كان لا يؤمن بهذا الزهد ذلك الايمان العميق الذي يدفعه الى عدم الحرص على الدنيا ، ذلك الحرص الشديد الذي اصبح مجالا لتندر معاصريه ... فالشاعر الفنان قادر على تصور الموضوعات التي لم يعشها ، أو يجربها ، او يحسها ، لأن له اكثر من حياة فلا عجب اذا بدت موضوعاته التي تصورها محتدمة بالصدق وجيشان العاطفة ، فشكسبير مثلا استطاع ان يمثل اكثر عواطف الانسان ، ومن الطبيعي انه لم يجرب كل هذه الألوان الكثيرة التي تواهضت في مسرحياته الخالدة ... ويكفي أنه يتصورها ويتمثلها لتمده مواهبه الفنية بفيض لاينتهي من الصدق ، والاحكام والروعة لتمثيل مايريد .. حتى يبدو للموجود كأنه قطعة من الطبيعة .

وأبو العتاهية شاعر حتى أطراف أنامله ... راعت شاعريته معاصريه ، فهالوا لها ، واطروها اطراء بالغاً قد لاتستحقه ، فبشار بن برد يقول : أشعر اهل زماننا مخنث بغداد .. ويقصد أبا العتاهية لأنه كان قبل نزعة الزهد ، ماجناً ينطبع على غرار زملائه الشعراء الماجنين وقيل لأبي نواس : أنت أشعر الناس ؟ قال : أما والشيخ حي ، فلا . وأبو نواس ذو ماسة نقدية مبدعة تعرف كيف تتغلغل الى اصول الفن ... غير اننا نرى من جانب آخر اسحق الموصلي لايراه شيئاً .. وكذلك مسلم بن الوليد يستخف شعره . والحق ان ابا العتاهية رغم شاعريته القوية لم يستطع ان يجاري الفحول في عصره .. والسبب راجع الى قوة هذه الشاعرية نفسها .. ولعل هذا الكلام يبدو غريباً .. ولابد له من تفسير .. فقد اوتي شاعرية فذة ، وانقاد له الشعر في سهولة ويسر . فيكفي ان يهم به حتى تنقاد له القوافي ، صاغرة وتأتيه المعاني ذافقة ، فقد أمدته ربة الشعر بينابيع من الالهام لا تعرف النضوب . قال الفرزدق : أنا أشعر الناس وتأتيني ساعة خلع ضرس فيها اسهل علي من نظم بيت .

وابو العتاهية لم يعان هذا النصب في النظم .-قيل له : كيف تقول الشعر ؟ قال : ما اردته الا مثل لي ، فأقول ، ما أريد ، واترك ما اريد . وقال : لو اردت ان اجعل كلامي كله شعراً لفعلت ، فالشعر ينصاع له طوع ارادته . ومن هنا جاء الوهن في هذه الشاعرية القوية ، فكان يأبى تنقيح شعره ، ويرسله عفو الخاطر ، ومع الطبيعة . وهذا النهج لا يؤمنه العثار ، فلابد للشاعر - مع موهبته الفياضة من صنع شعره ، والكد في سبيله ، ونحيد التعابير الملونة التي تتسق مع عرائس خياله . ويرى فاليري ان الشعر صناعة حتى نفى الالهام عنه .. ولهذا كثر شعر ابي العتاهية الذي يتهافت ضعفاً بما شوه جلال هذه الشاعرية التي لو احسن استغلالها لفاق جميع معاصريه ، فسهولة النظم التي كانت تواتيه جعلته يهزأ بالشكل ، وهو الى حد كبير يحمل القيم الجمالية ... ولهذا كان اصدق وصف له قول الاصمعي : شعر ابي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى ؛ وقال عنه ابو الفرج الاصبهاني : كان غزير البحر ، لطيف المعاني ، سهل الالفاظ ، كثير الافتنان قليل التكلف ، إلا انه كثير الساقط المرزدل .

وهذا الساقط المرزدل هو الذي اعاقه عن التحليق في جواء الفن الصحيح ، ودفعه عن المرتبة الاولى التي كان يجب ان يتبوأها في عالم الشعر . ولعله كان يتعمد هذا الساقط المرزول ، فقد عاتبه بعضهم فيه ، واجاب : الزهد ليس من مذاهب الملوك ، ولا من مذاهب رواة الشعر ولا طلاب الغريب ، وهو مذهب اشغف الناس به الزهاد ، واصحاب الحديث والفقهاء ، واصحاب الرياء والعامة واعجب الاشياء اليهم ما فهموه .

وقد يكون هذا الكلام صحيحا ، ولكن الصحيح ايضاً ان لغة الشعر يجب ان تكون حية نامية موحية ، فيها روعة وموسيقى واصطفاء . ومن العبث ان ننشد الشعر في لغة مبتزلة ، وتعابير ممجوجة يكثر فيها الساقط المرزدل .

ومما لاشك فيه ان ابا العتاهية كان مطبوعاً على الشعر ، وعرف له معاصروه هذه المزية القوية ، فقالوا : اطبع الناس بشار ، والسيد الحميري ، وابو العتاهية ، وماقدر احد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرتهم ، وطبعه الفياض هذا دفعه الى لون من التجديد في اوزان الشعر وعروضه . سألوه : هل تعرف العروض ؟ قال : انا اكبر من العروض . والحق انه استطاع ان يتفوق على العروض ، فشاعريته المجنحة اسعفته بأذن موسيقية حساسة تلتقط ادق النغمات ، وتصهرها في بوتقته الخاصة . قال عنه صاحب الأغاني : له أوزان طريفة قالها بمن لم يتقدمه الاوائل فيها ... فلا عجب اذا كان مطبوعاً على وزن الكلام . ومن هنا قلنا آنفاً جاءت آفته ، فقد اندفع مع هذه الموهبه ينظم الشعر ، مكثراً من نظمه دون كد وامعان ومعاناة .

وروى ابن قتيبة أن أبا العتاهية جلس عند قصار ، فسمع صوت المدقة ، فحكى ذلك في ألفاظ شعره .

للمنون دائرات يدرن صرفها
هن ينتقيننا واحداً فواحدا

وهذا برهان جلي على رهافة حسه وشدة حساسية أذنه الموسيقية التي تستطيع ان تعكس النغمات في وزن طريف .

وذكر المسعودي : ان له اشعاراً خرج فيها عن العروض :

هم القاضي بيت يطرب
قال القاضي لما عوتب
ما في الدنيا الا مذنب
هذا عذر القاضي واقلب

ومن أوزانه الجديدة :

عتب ما للخيال	خبريني ومالي
لا أراه أتاني	زائرا مذ ليالي
لو رآني صديقي	رق لي اورثى لي
أو يراني عدوي	لان من سوء حالي

غير أنه لم يسرف في هذه الأوزان الجديدة ، لأن الأذن العربية كانت قد استساغت البحور العربية المعروفة ، فلم تستطع أن تتذوق هذه الموسيقى الجديدة ، فعافتها ، ولم تقبل عليها ليتشجع الشاعر ، ويمضي في طريقه الجديد الذي استطاع ان يصل اليه بفضل روافد شعره الخصبة ، وحاسته الموسيقية التي تلتقط ادق النغمات لتحولها الى وزن فيه رشاقة وخفة .

واستطاعت شاعريته ان تستوعب بدقة الوان ثقافته العقلية التي انعكست آثارها في شعره ، فقد اسهم في الحياة العقلية المتفتحة في العصر العباسي ، ودرس الفلسفة ، والتهم معارف عصره حتى تكونت له عقلية خاصة عرف بها ، واختط له مذهباً عقلياً عرف به ، وآمن بآراء كافح عنها ، فكان يقول — كما روى صاحب الاغاني — بالتوحيد ، وان الله خلق جوهرين متضادين لا من شيء ، ثم انه بنى العالم حديث الصنعة ، لامحدث الاالله . وكان يقول : ان الله يسرد كل شيء الى الجوهر من المتضادين قبل ان تغنى الأعيان جميعاً . وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب ، ويتشيع بمذهب الزيدية الذي يتطلب من معتنقيه الخروج على السلطان اذا كان جائراً بيد ان ابا العتاهية لاينتقص احداً ولايرى مع ذلك الخروج على السلطان .

وكان يتحرر احياناً من هذه العقائد حتى قالوا : انه كان مذبذباً في مذهبه ، يعتقد شيئاً ، فاذا سمع طاعناً عليه ترك اعتقاده اياه ، واخذ غيره . ولعل هذا التذبذب كان رجع الصدى لتهافت شخصيته او للسخرية الكامنة في اعماقه من هذه المذاهب المتناحرة المتناكرة التي لا تستقر على مدى ، والتي شاعت في العصر العباسي ، لقد رووا عنه

انه كان طول حياة يزيد بن منصور - خال الخليفة المهدي - يدعي انه مولى لليمن ، وينتفي من عنزة ، فلما مات يزيد رجع الى ولائه ، وعاتبه بعضهم في ذلك . وقال له : ذلك شيء احتجنا اليه في ذلك الزمن ، ومافي واحد انتسبت اليه خير ، ولكن الحق احق ان يتبع .

وهذا التذبذب في شخصيته وعقيدته جدت ببعض معاصريه الى رميه بالزندقة ، ونسبة جماعة الى القول بمذهب الفلاسفة ممن لايؤمن بالبعث ويحتجون بأن شعره انما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد .

والواقع ان اقبال ابي العتاهية على الفلسفة ، وغوصه في اسرارها دفعه الى الاكثار من الافكار الفلسفية حتى اصبح قارىء شعره يدرك فوراً انه تأثر بالفلاسفة ، وقبس بعض أفكارهم في شعره . قال يرثي صديقه علي بن ثابت :

ألا من لي بأنسك يا أخيا
ومن لي أن أبثك ما لديا
طوتك خطوب دهرك بعد نشر
كذاك خطوبه نشرا وطيا
بكيتك يا علي بدمع عيني
فلم يكن البكاء عليك شيا
وكانت في حياتك لي عظات
وانت اليوم اوعظ منك حيا

وأشار أبو الفرج الأصبهاني الي أن شاعرنا قبس البيت الأخير من كلام الفلاسفة لما حضروا تابوت الاسكندر فقد اثرت ثقافته الفلسفية في شاعريته ، وقد تكون احدى العوامل القوية التي دفعته الى اتخاذ الزهد منهجاً شعرياً يبث فيه أفكاره ، ويبهره بعواطفه .. فرغبته في قول الشعر الزهدي نابعة من عقله لامن قلبه". وليس فيها تلك الهزة القوية التي تدفع الشاعر الى هذا الاتجاه الروحي البعيد المدى وعندما عاف أبو نواس حياة المجون ، وانجذب الى الزهد ، وقال فيه شعراً حياً عبر فيه عن ألمه المرير بسبب مجونه ، ونشد عفو ربه وغفرانه في نبرة صادقة هرع اليه ابو العتاهية وقال له : لقد تركت لك الدنيا ومافيها .. وميدان الشعر الفسيح كله ، وأراك تزحمني في الزهد الذي وهبت له نفسي ورجاه ان يقلع عنه مما يدلنا على أنه كان يحس في قرارة نفسه انه يريد ان يتخصص في هذه الناحية الشعرية لايشاركه فيها أحد لينفرد فيها .. والا لو كان زاهداً حقاً لما تأذى من مزاحمة ابي نواس له ، وميدان الزهد فسيح الجنبات

ومعاني ابي العتاهية في الزهد لاتخرج عن الحث على الزهد في الدنيا لأنها دار نقلة وخراب ، والموت بالمرصاد لجميع العباد ، وعلى الانسان ان يتزود لآخرته ، ويحض كثيراً على طاعة الله ، ويتحدث عن طبيعة الناس المتقلبة ، فهم في الشدة غيرهم في الرخاء ... وغيرها من هذه المعاني التي كان يتداولها الناس ، ويعرفها الخاص والعام ، ولهذا فهي خالية من كل جديد ... غير ان لهجة ابي العتاهية الصادقة ، ترفعها الى مرتبة الشعر الرفيع ، فالكلمة التي تخرج من القلب تقع في القلب .

وكان في اغلب شعره الزهدي يصدر عن عاطفة تجيش بانفعال شديد ، ولاسيما عندما يتحدث عن الموت .. يقول :

خانك الطرف الطموح	أيها القلب الجموح
لدواعي الخير والشر	دنو ونزوح
هل لمطلوب بذنب	توبة منه نصوح
سيصير المرء يوماً	جسداً مافيه روح
بين عيني كل حي	علم الموت يلوح
كلنا في غفلة والمو	ت يغدو ويروح
نح على نفسك يا مسـ	ـكين ان كنت تنوح
لست بالباقي وان عمر	ت ما عمر نوح

ففي هذه الابيات لهجة صادقة تشف عن نفس قلقة أمام الموت . وابو العتاهية يصدر في هذا عن قلق محموم ، فشبح الموت لازمة واكثر من ترداده في شعره حتى أسف به ، وافقد الشعر فنيته في ترديد مبتذل لاغناء فيه . يقول :

وكل طريف له لذة | وكل بليد سريع البلى
ولاشيء الا له آفة | ولاشيء الا له منتهى
وليس الفتى نشباً في يد | ولكن غنى النفس كل الغنى

انها امثال مبتذلة عامية قد عفنت من كثرة الترداد حتى ملها الناس . ولو تخير ابو العتاهية معانيه وتعابيرة لما هوى بشاعريته الى المرتبة الثانية رغم تمجيد الأقدمين له.

وأبو العتاهية يستقي شعره الزهدي من ينابيع شتى ويتفنن فيها ويحاول ان يلونها . . وكثيراً ما كان يسطو على الأمثال المعروفة . واحياناً ينظم بعض معاني القرآن الكريم مثل قوله :

ليت شعري فانني لست ادري
أي يوم يكون آخر عمري
وبأي البلاد يقبض روحي
وبأي البلاد يحفر قبري

ولاشك ان القارىء الكريم ادرك انه قبسها من الآية الكريمة : « وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وماتدري نفس بأي ارض تموت » .

ولأبي العتاهيه الفضل الأكبر في الاتجاه الشعري الى الحكمة وضرب المثل . ومن الواضح انها لم تنضج في شعره ولكنها كانت البداية لهذا الشعر العقلي الممتاز الذي بلغ القمة على أيدي أبي تمام ، والمتنبي والمعري الذين أبدعوا أروع الانغام الحية في الحكمة .

لقد اتخذ ابو العتاهية الشعر الزهري مذهباً فنياً له ، قد يكون رد فعل المجون الذي استشرى في عصره وليس شعره سوى رد فعل لحياة القصف والفتك الذي جنح اليها الكثير من الشعراء . . ولقد نشأ أبو العتاهيه في الكوفة على غرار هذه العصبة من الشعراء الذين خلعوا العذار . . مجن في أول عهده وقصف ، ثم عاف هذه الحياة القلقة التي لاتغني النفس . وفي بغداد تفتحت مواهبه الغزيرة ، وتعرض لهزة عاطفية صادقة ، قد تكون من العوامل التي دفعته الى الزهد ، فقد أحب عتبة جارية المهدي ، واكثر من الغزل المشبوب فيها ، وغرد لها أروع شعر لجه الحنين ، وهاضه الأسى . . والمؤلم ان هذا الحب كان من طرف واحد . . فقد كانت تتأذى به وبدمامته ولم تشفع له دقة شعره ، وذلك الغناء العذب الذي كان يهتف به لها كقوله :

ياعتبه سيدتي أما لك دين
حتى متى قلبي لديك رهين
وأنا الذلول لكل ما حملتني
وأنا الشقي البائس المسكين
وأنا الغداة لكل باك مسعد
ولكل صب صاحب وخدين
لابأس ان لذاك عندي راحة
للصب أن يلقي الحزين حزين
ياعتبه اين الفرار منك أميرتي
وعلي حصن من هواك حصين

انها نغمات عذاب ، فيها هوى مشبوب ، واحساس صادق ، وحب مكين ، وألم كبيت تأتى اليه من هجرها ، وعزونها عنه حتى رق الرشيد له ذات يوم وهم بدفعها اليه فجزعت ، وقالت : ياأمير المؤمنين حرمتي وخدمتي . . اتدفعني الى رجل قبيح المنظر بائع جرات ومكتسب بالشعر فأعفاها . وكانت عتبة مأساة شاعرنا ، فرجت قلبه ولكنها كانت نعمة على شعره ، فليس أجدى على الشاعرية من حب يائس ، يفزع الشاعر اليه لينغم على أوتاره الحزينة شعراً محملاً بالغصات والآهات .

وصفوة القول . . ان ابا العتاهية أوتي شاعرية قوية ، لو تعهدها بالكد وراء البناء الشعري القوي لأتى بصرح باذخ تتصاغر أمامه صروح بقية الشعراء . . وكان الكاتب الافرنسي جوستاف فلوبير يسلخ ثلاثة أيام لكتابة ثلاث صفحات حتى جاء فنه تام الاستواء

« محمد حاج »

غابة الاشواك

قصة قصيرة بقلم : هشام شيشكلي

في غابة كثيفة ، ضلوعها تمتد كأذرع تضرع الى السماء وجوفها غائم كاوهام ناسك متوحد كانت عيونه تلوب تتبع طفلاً يعدو ، يخترق غابة الأشواك وينثر الدموع ثم يختفي في القمة ، إنه يعرف وجه الطفل الملائكي ، يعرف قسماته العذبة ولكنه غير قادر على الدنو منه ، حاول أن يطـير ليطبع على جبينه قبلة ، ولكنه وجد نفسه مصلوباً ينسحق قلبه تحت أرض تلامس حدود السماء حتى أمسى بغير ابعاد نواة في رحم ، دودة صغيرة كانت آخر بقايا جسد متفسخ .

أحس أن عيوناً كبيرة مطموسة تقطـر دماً لاهباً تلاحقه وتلسعه بألسنة من نار ، ثم أخذ شيئاً نديا يخيم ، قطرة كبيرة تغلفه وتبعث الرطوبة في اوصاله حدق جيداً كان خدها ينام على جبهته برفق ، وكانت دموعها تبلل وجنتيه قفز مذعوراً وهو يصرخ : انت هنا ! ؟

رفعته بذل دون أن تجيب .

لازلت تصرين ، تتمسكين بخيوط الأمل ، لقد قلتها وسأقولها ألف مرة ، لن أهبك هذا الطفل ، هو فوق مقتطاله آمالك ، يجب أن يأتي ثمرة الحب ان يمنح باخلاص ، انه أقدس من أن يكون لعبة الانسان الحقيرة . بغض النظر عن قدسية او حقارة مانغفل عندما نزرع اطفالنا في الظلمات يبقى الأمر غاية في الخطورة ، ان نضيف مخلوقاً الى جموع المدبين الذين يفتقدون الحب والحنان (ويتعطشون لما يمنحهم الأمن واليقين ، منذ بداية الطريق وحتى تظلم الدنيا في عيونهم .

كانت سناء واجمة حائرة ، ان الأمر يتجاوز حدود تفاسيرها ، دوماً كانت تمشي ببساطة كما تمضي الخـلائق في مسارب الحياة ، انها لاتستطيع أن تغير منحى تفاسيرها ، وتتقبل هذا المزيج من الافكار ، كانت كذلك المخلوق الذي يروى أنه هبط من القمر وراح يجـوب الطرقات يوزع الابتسامات والقبلات . قلبها موزع كضياء الشمس بـين جميع الخلائق ، ولكن شبح العجوز يلاحقها ويضفر جدائلها الشقر : بيتي غداً ستمكثين مثلي تلملمين ذكريات الشباب ، سيكون لك طفل جميل يبعث البهجة وسيكـون زوج ، كوني عاقلة يابنيتي ، كوني عاقلة .

ان كلماتها لاتزال تتردد في اذنيها ؛ لابد انها تنام بسلام ربما كانت الديدان تلتهم عينيها ولكن روحها ما تزال ترفرف انها تحاول أن تتمثل اقوالها ترسم لها احلامها ببراءة ، ولكنها لاتستطيع تحقيقها ، لاتقوى على مجالدة عواطفها حاولت أن تتكلم ، ولكن الدموع خنقت الكلمات .

كان أمامها ماقى كجثة ، انفاسه فقط تشير الى انه حي ، هي لم تتعمد ايلامه أو وتجرح كرامته ، كانت تود لو يستطيع أن يطوقها ويحجبها عن العـالم الذي يصطخب حولها ، وأن تنسى الوجود وهي بين يديه ، ولكنهـا لم تستطع ، هتفت : أحمد أحمد ، انت نائم ؟ ولكنه لم يجب ، كان يحس ان رأسه يتفجر ، تتجمع فيه مآسي الدنيـا : لابد أن يكون ثمة أمن ويعتبر في مكان ما ، في اعمـاق الانسان او في جوف الارض .

أحس بشيء ندي يهمي على شفتيه ويذوب فوقها ؛ ان آلامه تتلاشى ، كأنه مقرور يتربع في صحراء قطبية ، وكانت الشفتان شيئاً متوهجاً يدفيء اوصاله .

تردد كثيراً قبل أن يفتح عينيه لتعانق نظراتها التي ترسل نداء حزيناً متدفقاً يشع بالرجاء ، فيها سحر غريب ، عالم اسطوري قد ، ولكن ...انه يفتقد الحنان والاخلاص ، لقد ظل سنين طويلة يبحث عنهما ثم خابت آماله ، انـه يعيش وحشه قاسيـة مدمرة ، لم تستطع أن تغتال الكآبة والضعف من اعماقه ربما كانت عين طفل ساذجة قادرة على

زرع بعض العزاء في نفسه . أمل صغير مشرق ربما يستطيع أن يؤكد بعض اوهام الخلود .

نظر من النافذة ، الآباء في الشارع يمسكون بأيدي ابنائهم ويمضون ، والاطفال ، يفرشون الحي باغنياتهم الصغيره ، يعدون ويتواثبون يعمرون العالم ، ويهدمونه ثمة بيوت تغمها الكراهية تلفظ هذه الكتل الغضة الى الازقة يبكون ويعمون .

كان صوت طفل يتعالى وقلبه يكاد يتمزق ، وكان طيفها ماثلاً أمامه يترجم آثامها هذه الشياطين التي اختطفت قلبها في يوم ليس من الزمن ، وهو يود أن يصرعها جميعاً ، تملكه هلع شديد ، قد يمسي وحشاً ضارياً في لحظة ، انه يود أن يطفيء ثورته ، ولكن عيون الناس مشرعة ، نظراتهم سهام قاتلة تنفذ الى جوفه ، والجو يعج بالهمسات : انه يموت عند قدميها ؛ لايقوى على صراعها ، كل مافيه ملك يديها . واحس انه متداع وانه اضعف من أن يتصدى لعيون الناس بعد ان تحطم بيته الزجاجي الشفيف الذي بناه في خياله مشرقاً يرتع فيه طفل عذب القسمات ، ولكنه سجين يتشوق الى العالم يبحث عن لحن كسر مزماره منذ سحيق العصور ولم يستطع قبل خيباته تلك غير أن يدفع في وجهها ورقة صفراء لتقدمها الى المجتمع رافعة الرأس ، لم تعد انسانة افتقدت شيئاً مقدساً ، لقد جعلها اماً .

كان طيفها مابرح يعاوده ليمسك خناقه ، ويدعوه إليها بعنف ، ولكن لا ، لن يستقبلها مرة اخرى ، وبدون قلب ، وجهها ملطخ وعالمها بدون نصاعة ، ماذا يقول لابنه عندما يكبر ، لا لن تعود .. لا لا .

أحس بيد حانية تهزه ، أحمد أحمد خير ان شاء الله .

تطلع الى امه ترفعه بحنان ودمعة تغرغر في عينيها .

– لاشيء لاشيء ، مجرد حلم صغير ، أين سمير .

– انه يلعب ، سمير ، سمير

تقدم ابنه ، كان يخطو قليلاً ثم يقع ، قفز اليه وضمه ودفن رأسه في صدره الصغير .

هشام شيشكلي

اخبار الادب والفن

– المعرض الذي اقامه الفنان سعيد مخلوف في صالة « ايسباس » والذي ضم مجموعة حديثة من اعمال الفنان مخلوف ، كان حديث الاوساط الفنية ، ولقد اجمع المهتمون بقضايا الفن عامة والنحت بصورة خاصة ، على ان المعرض كان من انجح المعارض التي اقيمت في دمشق . ولقد اكدت الاعمال المعروضة فيه اصالة الموهبة التي يتحلى بها الفنان مخلوف ، كما ابرزت تقدماً واضحاً في اعماله الفنية .

ويأتي هذا المعرض الثالث في سلسلة المعارض التى أقامها الفنان مخلوف ، فقد أقيم له معرض خاص بدعوة من وزارة الثقافة والارشاد القومي في المركز الثقافي العربي بدمشق . ومعرض آخر في دارة السيدة مورلي . الى جانب اشتراكه في عدة معارض عامة .

– تعتزم صالة « ايسباس » بعد النجاح الذي لقيه معرض الفنان سعيد مخلوف ان تقيمه معرضاً دائماً يشترك فيه جميع الفنانين المعروفين .

– فازت الاديبة السورية الشابة الآنسة سنية صالح بجائزة القصة القصيرة في المسابقة التي اجرتها مجلة « حوار » البيروتية .

وسبق للاديبة صالح ان فازت بجائزة الشعر الحديث في مسابقة اجرتها جريدة « النهار » اللبنانية – كما صدر لها مؤخراً في بيروت مجموعة شعرية انيقة باسم « الزمان الضيق » تضم المجموعة عدة قصائد نثرية .

– كتاب التحولات والهجرة في اقاليم النهار والليل ديوان جديد صدر في بيروت للشاعر ادونيس يمثل الديوان نقطة تحول بارزة في خط الشعر العربي .

وقد سبق للشاعر ان اصدر عدة دواوين . منها « قصائد أولى » « وأوراق للريح » « واغاني مهيار الدمشقي

كما صدر له مؤخراً « ديوان الشعر العربي » بجزئين ، ويضم الديوان مختارات شعرية من مختلف عصور الشعر العربي ، الى جانب دراسة قيمة كتبها الشاعر حول الشعر العربي .

– « اقبال » مجموعة شعرية للشاعر الفقيد بدر شاكر السياب صدرت عن دار الطليعة في بيروت ، وتحتوي المجموعة على آخر نتاج الشاعر الراحل ، وقد سبق لمجلة الثقافة ان انفردت بنشر قصيدتين كانتا آخر ما نظمه السياب قبل وفاته .

صدر مؤخراً في بيروت ديوان شعر جديد للشاعر خليل حاوي ، يحمل الديوان اسم « بيادر الجوع » وهو الديوان الثالث للشاعر بعد « نهر الرماد » « والناي والريح » ويعتبر الشاعر الحاوي في طليعة الشعراء المجددين في لبنان والعالم العربي .

– الاديب الدكتور نادر العطار ، ابل من مرضه واسرة تحرير الثقافة التي اسعدها النبأ تتقدم من الدكتور العطار بالتهنئة كما تتقدم من النطاسي البارع الدكتور موفق مريدن بعميق شكرها للعناية التي ابداها ، بالدكتور العطار .

– توفي في بيروت المؤرخ الكبير الدكتور اسد رستم عن (٦٨ عاماً) كان الفقيد يعمل مدرساً للتاريخ في الجامعتين الامريكية واللبنانية في بيروت ، ومؤرخاً للكرسي الانطاكي ويعتبر استاذاً لجيل من كبار اساتذة التاريخ في العالم العربي ، وله عدة مؤلفة تاريخية ذات قيمة كبيرة – للفقيد الرحمة .

– توفي في القاهرة الناقد الكبير الدكتور محمد مندور وقد اقامت له هيئة خريجي الصحافة بالقاهرة حفلة تأبينية تحدث فيها الدكتور عبد اللطيف حمزة ، والدكتور لويس عوض ، والدكتور محمد انيس ، وسعيد خطاب ، نعمان عاشور .

= تألفت في بيروت لجنة من بعض النواب برئاسة النائب المحامي أديب الفرزلي للاحتفال بنقل رفات الشاعر رشيد نخله صاحب النشيد الوطني اللبناني الى الضريح الرسمي

الذي اقامه له مجلس النواب ، وستعلن اللجنة موعد الاحتفال ووقائعه و كذلك افتتاح المتحف الخاص بآثار رشيد نخله ؛ وكل مايتعلق بتكريم اسمه وتخليد ذكراه .

– اعلن نجيب نجمه كرم خال الفقيد الدكتور بشر فارس ان مكتبة الدكتور بشر معروضة للبيع في القاهرة بطريق المزايدة وان المحامي اللبناني فيكتور موسى فتح لنجيب كرم اعتماداً مالياً يضمن أقتناء المكتبة والاحتفاظ بها في لبنان .

وكان قد اشيع في الماضي على اثر وفاة بشر ان المجمع العلمي المصري الذي كان الفقيد امين سره العام ، سيشتري هذه المكتبة التي تضم نفائس المؤلفات العربية والاجنبية في الادب والعلم الفن .

– « قصائد مرئية » مجموعة شعرية للشاعر العراقي سعدي يوسف ، صدرت مؤحراً في بيروت

– « الديوان » مجموعة شعر ونثر صدرت في بيروت للفقيد الشيخ يوسف زخريا ، قدم للكتاب الياس خليل زخريا والفقيد اميل لحود .

والجدير بالذكر ان هذه هي المرة الاولى التي ينشر فيها شيء من آثار اميل لحود الخطيب والاديب والقانوني الكبير .

– صدرت في بيروت الطبعة الثانية من ديوان « الجبل الملهم » باللغة الفرنسية للشاعر اللبناني شارل قرم . والمعروف ان الشاعر قرم هو أول شاعر لبناني فاز بجائزة فرنسا الاولى لشعراء البحر الابيض المتوسط الذين ينظمون بالفرنسية .

– « حنين العتبة » قصيدة في ١٧ اغنية صدرت في بيروت للشاعر فؤاد رفقة ، الذي انهى حديثاً اطروحته لنيل الدكتوراه وهي « نظرية الشعر عند الفيلسوف الالماني مارغن هيدر »

– صدرت بحلب رواية « ثائر من بلدي » لابراهيم المرجاني ، وقد استمد الكاتب حوادث روايته من نضال العرب ضد مغتصبي لواء الاسكندرون .

– الاديب الياس الفاضل يعد العدة لاصدار ديوانه الجديد « تحت سماء آسيا » .

– الدكتور علي جواد الطاهر الاستاذ بجامعة الرياض بالسعودية أعد للطبع « ديوان الطغرائي » « ابن سلام وطبقات الشعراء » كما سيعيد طبع كتابه « الشعر العربي في العصر السلجوقي »

– الدكتور علي يوسف عز الدين امين المجمع العلمي العراقي سيصدر له في القاهرة كتاب عن الشاعر العراقي الفقيد السيد خيري الهنداوي .

– المواسم الادبية عند العرب » لعبد الحميد العلوجي صدر في بغداد في سلسلة الثقافة العامة .

– « النظام الاقتصادي في العراق من سنة (١٨٩٠ – حتى ١٩٦٥) لمحمد سلمان حسن سيصدر في بيروت وفي ثلاثة مجلدات .

– « مذكرات بحار » مجموعة شعرية صدرت مؤخراً للشاعر الكويتي محمد الفايز .

– أقرت لجنة الشعر في مجلس الفنون بالقاهرة نتيجة مسابقة « الشباب العربي » التي اشترك فيها مئة شاعر ، لم يفز منهم سوى (٨) وكان الفائز الأول محمد علي الفقي والثاني احمد ابراهيم درويش والثالث حامد طاهر فؤاد .

– صدر في القاهرة كتاب « العرب في صقلية ودورهم في نشأة الثقافة الاسلامية » « ليوسف حسن نوفل » وهو البحث الفائز بجائزة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

– ظهرت نتيجة الكتب القومية التي نظمتها وزارة التعليم العالي بين اساتذة الجامعات المصرية . الفائز الوحيد الدكتور ابو الفتوح رضوان وكيل كلية التربية بجامعة عين شمس . الجائزة ٤٠٠ جنيه . باقي الجوائز وعددها ٢٤ الغيت. عنوان الكتاب الفائز « القومية العربية »

– ورثة طلب الشيخ سيد درويش ٥٠٠ جنيه ثمنا للعود الذي كان يستعمله سيد درويش ، وذلك بعد ان طلبه متحف المسرح المصري .

– المسابقة الادبية الجديدة للمجمع اللغوي بالقاهرة موضوعها ؟ توفيق البكري ، حياته وأدبه » آخر موعد للاشتراك فيها منتصف آذار ١٩٦٦ ، والمسابقة مفتوحة لجميع كتاب البلاد العربية .